إبراز المعاني بالأداء القرآني

أ.د/ إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري

أستاذ القرآن وعلومه
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

***

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، فأحسن نطقه وبيانه ، وأنزل القرآن على عبده ورسوله سيدنا محمد × لتبيانه وادّكاره، ويسره بلسانه ، واختاره لأدائه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين نالوا الشرف باستماع القرآن رطبا غضا ، ورتلوه بحُرِّ أنفاسهم حرفاً حرفاً ، فحازوا معانيه علما وعملا ، وفازوا بوعده مكانة وعزا ، رضي الله عنهم وعن أئمة القراءة ، أولي الرواية والدراية ، أما بعد :

فإن الأداء – وهو فن النطق السليم – قد استحوذ بلا شك على اهتمام فائق في هذه الآونة ، وقد احتل مكانا مهما في التعليم الحديث في علم الأصوات وفن الإلقاء وأساليب الاتصال.

والحق أن الأداء قد ألقى بجِرانه في جذور التاريخ من خلال الوجوه اللغوية وأطوارها التي مرت بها ، بيد أنه اكتسب لونا جديدا في الوقت الراهن بتأثير النظريات التي هدي إليها اللغويون في العصر الحاضر.

ويعدّ إبراز المعنى عبر الأداء أحد العوامل الفاعلة التي أدت إلى تنمية أساليب الأداء المتعددة ، بل هو أساسها ، ذلك أنه الغاية المنشودة في كل كلام.

كما يعدّ كل من علم التجويد وعلم القراءات من العلوم التي أثرت بغَناء في هذا المضمار ، لما يمتاز به أداء القرآن الكريم من فضاءات واسعة وخصائص عليّة تعجز عنها سائر الأداءات كافة ، حتى أصبح

إطلاق علماء الأداء لاينصرف إلا لعلماء التجويد والقراءات خصّيصة لهم دون غيرهم من رجال العلوم الأخرى .

ولقد عني الأُلى بالصوت والوقف والابتداء وغير ذلك مما له صلة بأداء القرآن الكريم في عدد من علوم القرآن، ونصوصهم في ذلك مبثوثة في تضاعيف المؤلفات ، ومعمول بها في مجال التلقي والمشافهة عند المهرة والحذاق، غير أنها ليست مجموعة في كتاب واحد يلمّ ماتفرق من أشتاتها ويقرب مابعُد من شواردها ، ومن ثَم جاء هذا البحث ليقوم بإيضاح مفهوم الأداء ومقوماته الأساسية وخصائص أداء القرآن الكريم وضوابطه وغاياته وظواهره.

ومن الله استمد العون ، وهو يهدي السبيل.

أهمية الموضوع:

يكتسب هذا الموضوع أهميته من حيث ارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم، وتناوله جانباً مهماً وحيوياً في تلاوة القرآن الكريم، إذ يُعنى بمرتبة الإحسان في أدائه الجامعة بين المهارة في أداء الحروف والغوص في معانيها والتبحر في مقاصدها، وذلك بمراعاة الوقف والابتداء وحسن التعامل مع أصوات الحروف بلطف وشفافية تشعر السامع بالمعنى وتخلص إلى شغاف قلبه بأنوار الهداية.

فإذا جاءت القراءة بتلك الكيفية وفق الصفة المتلقاة عن الرسول × وأئمة القراءة تحقق المقصود منها، وكانت مغرية على اتباع ما تضمنه آي الذكر الحكيم من التوجيه الكريم.

***

ولئن كان التعرف على الأداء ومراعاته للمعنى مطلباً في كلام البشر فهو في تلاوة القرآن أحق وأولى.

ولئن اتجهت الدراسات الحديثة صوب اللغات على مختلف مشاربها فإن دراسة لغة القرآن الكريم – ولا سيما طريقة الأداء – أحرى بأن تتجه إليها جهود الباحثين للكشف عن أسرارها وخفيّ إشاراتها، إذ ندر اتجاه البحث في هذا المجال، وفات خير كثير بإغفاله.

أسباب اختيار البحث:

- الإسهام في تحقيق المقصد الأسمى من نزول القرآن الكريم، وهو التدبر لمعاني كلام الله تعالى وتذكّره.
- التنويه بتلاوة القرآن في وسائل الدعوة، فلا جرم أنها كانت أولى أساليب التبليغ – وهي أُولاها في كل زمان – لأن القرآن هو المعجزة الكبرى في الإسلام.
- ما لوحظ من بعض القارئين ممن يرومون إبراز معنى بعض الآيات دون مراعاة لقواعد حسن الأداء فضلاً عن أصول فن المحادثة والاتصال في حين نجد آخرين لا يراعون من يستمع إلى تلاوتهم فتأتي قراءاتهم باردة لا روح فيها.
- حاجة كل من قارئ القرآن الكريم والمستمع إليه إلى اتخاذ الوسائل الناجعة لبلوغ الكمال في تلاوة القرآن الكريم على الوجه السديد الذي تتوفر فيه صحة الأداء وسلامته من اللحن ويمتاز

بالقدرة على التعبير عن المعنى المراد، فيحصل حينئذ الامتثال عند القارئ والمستمع.

- الشعور بأهمية تزويد المكتبة القرآنية ببحث مستقل يختص بدراسة هذا الموضوع.

هدف البحث:

بيان الأداء الصحيح للقرآن الكريم ومقوماته وخصائصه وأثره في التعبير عن المعاني المقصودة في آي الذكر الحكيم وكيفية تصويرها وإبرازها في التلاوة، وذلك من خلال التعرف على غايات الأداء وظواهره.

الدراسات السابقة:

يعتمد هذا الموضوع اعتماداً كبيراً على التلقي والمشافهة، وهو لا يزال – بحمد الله – معمولاً به عند حذاق المقرئين ومهرة القراء، وقد ألمح إليه السابقون في مصنفاتهم، ومن نصوصهم في ذلك:

- ما جاء عن التابعي الجليل إبراهيم بن يزيد النخعي (ت ٩٦هـ) أنه قال: «ينبغي للقارئ إذا قرأ نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[1] . ونحو ذلك

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

مـن الآيـات أن يخفـض بهـا صـوته» [١] . قـال ابـن الجـزري (ت٨٣٣هـ) عقب هذا النص: «وهذا من أحسن آداب القراءة» [٢]..

- قال الحافظ أبو العلاء الهمداني (ت٥٦٩هـ) في سياق حديثه عن اللحن في القرآن الكريم: «وأما الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القراء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين: أحدهما لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة وبالأخذ من أفواه أولى الضبط والدراية، وذلك نحو مقادير المدات، وحدود المُمالات والمُلطَّفات [٣] ، والمُشبعات والمُختلسات [٤] ، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار والإدغام والحذف[٥]، والإتمام والرَّوم والإشمام [١] ، إلى ما سوى

---

(١) غاية النهاية لابن الجزري ٣٠/١، ولمزيد من الاطلاع على نصوص أخرى مشابهة يراجع كتاب الأمثال من الكتاب والسنة للحكيم الترمذي، ص٨٠.

(٢) غاية النهاية لابن الجزري: ٣٠/١.

(٣) الإمالة: تقريب الفتحة من الكسرة والألف من الياء، والتلطيف نوع من أنواع الإمالة، وهو المعروف بالتقليل، وبالإمالة الصغرى، وحدّه أن ينطق بالحرف المقلل بين الفتح والإمالة، ولذلك يعرف بـ«بين بين». انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٣٠/٢.

(٤) الإشباع: أن يؤتى بالحركة كاملة على هيئتها، ويقابله الاختلاس وهو النطق ببعض الحركة وصلاً. انظر شرح قصيدة أبي مُزاحم الخاقاني التي قالها في القُرَّاء وحُسْن الأداء للداني، ص٣٢٥ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري، ١٢٦/٢.

(٥) الإشباع: أن يؤتى بالحركة كاملة على هيئتها، ويقابله الاختلاس وهو النطق ببعض الحركة وصلا. انظر شرح قصيدة أبي مُ.احم الخاقاني التي قالها في القُرَّاء وحُسْن الأداء للداني، ص٣٢٥، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ١٢٦/٢.

ذلك من الأسرار التي لا تتقيد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإتقان والضبط، على ما ورد عن النبي × من أمره أصحابه – رضي الله عنهم – بذلك في قوله: «**استقرئوا القرآن من أربعة**» [2] ، قال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ): «وتخصيص هؤلاء الأربعة بأخذ القرآن عنهم: إما لأنهم كانوا أكثر ضبطاً له وأتقن لأدائه، أو لأنهم تفرغوا لأخذه منه مشافهة وتصدوا لأدائه من بعده، فلذلك ندب إلى الأخذ عنهم، لا أنه لم يجمعه غيرهم» [3] .

- قال برهان الدين الزركشي (ت ٧٦٤هـ): «فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم، وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكر في معنى ما يلفظ

(١) الحذف: إلغاء الحرف دون خلف له، ويعبَّر عنه بـ(الإسقاط). انظر النَّشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/١٤٣ والإضاءة في بيان أصول القراءة للضَّبَّاع، ص٣١.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبي × «باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة – رضي الله عنه»، ص٦٣٢ رقم الحديث (٣٧٥٨) وفي باب «مناقب عبدالله بن مسعود وأمه – رضي الله عنهما»، ص٦٣٢ رقم الحديث: ٣٧٦٠، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في الفضائل، «باب من فضائل عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه» ص١٠٨٣ رقم الحديث (٦٣٣٨)، وهو في التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني ٢٣٧، ولمزيد من الاطلاع على نصوص أخرى نحو هذا النص ينظر الموضح لابن أبي مريم الشيرازي، ١٥٩/١.

(٣) فتح الباري: ٢٥٣/١٤.

بلسانه، فيعرف من كل آية معناها ..» [١] .

- ما ذكره السيوطي (ت ٩١١هـ) في الدر المنثور أنه «يستحب إذا قرأ الرجل هذه الآية: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [٢] . يرفع بها صوته».

وثمة أقوال أخرى لا يستوعب المقام ذكرها، ولقد تضمنت مصادر علوم القرآن ولا سيما القراءات والتجويد والوقف والابتداء نصوصاً قيمة ودراسات متفرقة في هذا الموضوع، ولا جرم أنها الرافد الثَّر لهذا البحث.

ولم أظفر بدراسة مستقلة توفِّي هذا الموضوع القرآني حقه من أهم أبعاده، فلعل هذا البحث يفي بالغرض المقصود، معاذ الله أن أدعى لنفسي أنني سأقول في هذا الموضوع شيئاً لم أسبق إليه، فإن علماء القرآن قاموا بجهود عظيمة، ولم يدعوا لمن بعدهم إلا التقريب والترتيب.

وسيستجلي هذا البحث – بعون الله وتوفيقه – ما طُوي من الآفاق الأدائية للقرآن الكريم بعرض جديد، وفي خطوات متّئدة، وعلى أساس مكين في ضوء ما انتهجه أسلافنا الأخيار دون استطراد فيما انتهى إليه الباحثون تجافياً عن التكرار قدر الإمكان.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة على النحو

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ٤٥٠/١.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٧.

التالي:

***

- **المقدمة:**

وتشمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره والهدف منه، والدراسات السابقة فيه، وخطته، كما تقدم بيانه.

- **التمهيد:**

وسائل التعبير الإنساني.

الباب الأول: مفهوم أداء القرآن الكريم ومقوماته وخصائصه، ويحتوي على ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول**: مفهوم أداء القرآن الكريم.
- **الفصل الثاني**: مقومات أداء القرآن الكريم، ويشتمل على المباحث التالية:
  - المبحث الأول: المقومات الإيمانية.
  - المبحث الثاني: المقومات النفسية.
  - المبحث الثالث: المقومات المعرفية.
  - المبحث الرابع: المقومات الصوتية.
- **الفصل الثالث**: خصائص أداء القرآن الكريم، ويشتمل على المباحث التالية:
  - المبحث الأول: التعبد.
  - المبحث الثاني: الإعجاز.

- المبحث الثالث: التجويد.
- المبحث الرابع: التدبر والتذكر.

الباب الثاني: غاية الأداء القرآني وظواهره وتطبيقاته، ويحتوي على ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول**: غاية الأداء، ويشتمل على المباحث التالية:
  - المبحث الأول: الدلالة التصويرية.
  - المبحث الثاني: الإثارة الوجدانية.
  - المبحث الثالث: الروعة الجمالية.
- **الفصل الثاني**: ظواهر الأداء، ويشتمل على المباحث التالية:
  - المبحث الأول: مراتب التلاوة وأساليبها.
  - المبحث الثاني: أصول الأداء وتعدد القراءات.
  - المبحث الثالث: الوقف والابتداء.
- **الفصل الثالث**: دراسة تطبيقية على سورة الفاتحة.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي انتهى إليها البحث.

***

التمهيد
وسائل التعبير الإنساني

***

وسائل التعبير الإنساني

إن التجمّع الإنساني يتطلب التفاهم بين الناس بما تبرزه ثقافة كل واحد منهم، وذلك أن الإنسان الواحد بمفرده يعجز أن يستقل بجميع حاجاته، بل لا بد له من التعاون لتبادل المنافع [1] ، أو ما سماه القرآن بالدفع في قوله جل شأنه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [2].

وقد أودع الحق جل وعلا الإنسان خصائص تكفل لكل تجمع الفهم أو الإفهام، ثم نوه بها في كتابه الكريم في قوله جل شأنه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [3] والبيان هو: «المنطق الصريح المعرب عما في الضمير»[4]، وتلك خصّيصة للإنسان عن بقية أنواع الحيوان، إذا جاءت في مساق الامتنان.

وما من شيء إلا وله حقيقة في نفسه، ثم يتصوره الذهن والقلب [5] ، ومن ثم يمكن التعبير عنه باللسان أو بالخط أو بالبنان أو تتم الدلالة عليه بالإشارة أو بالحال [6] .

(١) انظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي: ٣٨/١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
(٣) سورة الرحمن، الآيتان: ٣، ٤.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل عن وجوه التأويل للزمخشري: ٤٣/٤.
(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦٤/١٦ والطراز ليحيى العلوي ١٢٢/١.
(٦) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٧٦/١ والنكت في إعجاز القرآن للرماني ١٠٦/١.

***

أما التعبير باللسان فيتحقق باللغة وهي: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» (١) ، وكلما كان الكلام مقنعاً للعقل مؤثراً في الوجدان كان أسعد بياناً وأصدق برهاناً، ولن يتسن ذلك إلا بإعمال القدرات الصوتية وتلوينها خفضاً ورفعاً حسب حقائقها النفسية ومعانيها المرادة، وبذلك يصل المتكلم إلى إصابة الهدف ويفضي بالسامع إلى فهم المقاصد.

ومتى اجتمع للكلام أسباب حسن العبارة من تعديل النظم حتى يسهل على اللسان ويحسن في السمع وتتقبله النفس كان في أعلى مراتب البيان (٢) .

وأما الخط فقد ذكره الله في أوائل ما نزل، حيث يقول الله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ ﴾ (٣) ، وقال تعالى: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝ ﴾ (٤) ، ولذلك قالوا: «القلم أحد اللسانين» (٥) .

وأما الإشارة فتكون ببعض أجزاء الجسم، باليد أو بالرأس أو بالعين والحاجب وبالمنكبين أو بغير ذلك من الجوارح، كما تكون ببعض الأدوات والصور ومن التلويح بالثوب أو غيره (٦) ، وما انبساط الوجه وانقباضه إلا من هذا القبيل، وفي التنزيل: ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ ﴾ (٧)، أي أومأت إليه (٨) .

---

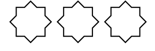
(١) الخصائص لابن جني ٣٣/١.
(٢) انظر النُّكت في إعجاز القرآن، ص١٠٧.
(٣) سورة العلق، الآيتان: ٣، ٤.
(٤) سورة القلم، الآية: ١.
(٥) البيان والتبيين، ٧٩/١.
(٦) انظر المصدر السابق، ٧٧/١.
(٧) سورة مريم، الآية: ٢٩.
(٨) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢٢٨/٥.

وجني ثمارك؟ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً [1]، وما أحسن قول أبي العتاهية (ت ٢١١هـ):

فيا عجباً كيف يعصى الإلـــه أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة علينا وتسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحدُ

فهذه أساليب التعبير التي يفصح بها الناس عما تكنه صدورهم، ويختلج في خواطرهم، ولا جرم أن لكل معنى ما يناسبه من تلك الدلالات، فربما كانت الإشارة أبلغ من صريح العبارة، وربما اجتمع للمعنى أكثر من دلالة فذلك ادعى لوضوحه وأنجح.

ولهذا تضمنت كتب التجويد والقراءات إشارات وكيفيات غير اللفظ كالإشمام والوقف [2] ، وكلاهما خارج عن اللفظ بيد أنها مفاتيح المعاني وحلية القارئ وفهم المستمع.



(١) البيان والتبيين للجاحظ، ٨١/١.
(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ص١٠٤.

***

الباب الأول:
مفهوم أداء القرآن الكريم ومقوماته وخصائصه

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: مفهوم أداء القرآن الكريم.
- الفصل الثاني: مقومات أداء القرآن الكريم.
- الفصل الثالث: خصائص أداء القرآن الكريم.

***

الفصل الأول:
مفهوم أداء القرآن الكريم

أصل الأداء في اللغة الإيصال [١] ، فهو ضرب من أساليب التعبير التي سبق الحديث عنها في التمهيد.

والمتبصِّر في وجوه أداء القرآن يلحظ أنها تنبثق من هذا الأصل وتؤول إليه، ذلك أن الأداء في مصطلح القراء هو النقل [٢] ، قال أبو شامة (ت ٦٦٥هـ): «ولفظة الأداء كثيرة الاستعمال بين القراء، ويعنون بها تأدية القراء القراءة إلينا بالنقل عمن قبلهم» [٣] .

وعملية الأداء ترتكز على أركان ثلاثة: المنقول والنَّاقل والمنقول إليه، وبيان ذلك على النحو الآتي:

المنقول: هو القرآن الكريم وما يتصل به من وجوه اختلاف القراءات وتجويد التلاوة، «ونحن لما يسر الله كلامه بألسنتنا أمكننا أن نتكلم بكلامه، لكن بأدواتنا وأصواتنا، وليس تكلمنا به وسمعه منا كتكلم الله وسمعه منه»[٤] .

والمنقول من القرآن يصدق على ما جاء متواتراً، وعلى ما جاء

(١) انظر مادة (أدى) في معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٧٤/١ وباب الياء فصل الهمزة من لسان العرب لابن منظور ٢٦/١٤.
(٢) انظر كنز المعاني في شرح حرز الأماني للجعبري عند قول الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) «مذاهب شذت في الأداء» (١٠٠/أ) محظوظ.
(٣) إبراز المعاني من حرز المعاني في القراء السبع لأبي شامة، ص٢٥٣.
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٥١/١٢.

صحيحاً مستفيضاً متلقى بالقبول كمراتب المد الزائد على القدر المشترك، وهذا وأمثاله ملحق بالقراءة المتواترة حكماً [١] ، وهو الذي اصطلح العلماء على تسميته في هذا السياق «بالأداء» قال الحافظ ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «فإنه إذا ثبت أن شيئاً من القراءات من قبيل الأداء لم يكن متواتراً عن النبي × كتقسيم وقف حمزة وهشام وأنواع تسهيله فإنه وإن تواتر تخفيف الهمز في الوقف عن رسول الله × فلم يتواتر أنه وقف على موضع بخمسين وجهاً، ولا بعشرين، ولا بنحو ذلك، وإنما إن صح شيء منها فوجه، والباقي لا شك أنه من قبيل الأداء» [٢] .

ومن قبيل الأداء التفريق حال التلاوة بين النفي والإثبات والخبر والاستفهام وأصوات «من» و «ما» ونحوهما صعوداً وهبوطاً، وهو على ذلك لا يعرف أكثره حق معرفته بالقول والصفة، بل يوقف عليه بالرواية والمشاهدة، إذ ليس الخبر كالمعاينة [٣] .

ويطلق الأداء أيضاً على تجويد القراءة، وهو المهارة في إخراج الحروف وتوفية صفاتها، ولهذا يقال: «هو حَسَنُ الأداء إذا كان حسن إخراج الحروف من مخارجها» [٤] ، وقال الخاقاني (ت ٣٢٥هـ) في رائيته التي قالها في القراء وحسن الأداء:

---

(١) انظر منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، ص٨١، ٩١، ١٩٠.
(٢) المصدر السابق، ص١٩٦.
(٣) الهادي في معرفة المقاطع والمبادئ للهمداني، الكتاب الخامس، الباب الخامس (مخطوط) نسخة غير مرقمة.
(٤) تاج العروس للزبيدي، باب الواو والياء، فصل الهمزة ١٣/١٠.

***

أيـــــا قـــــــارئ القـــــــرآن أحســـــــن أداءه
يضــــاعف لـــك الله الجزيـــل مـــن الأجـــر
فمـــا كـــل مـــن يتلـــو الكتـــاب يقيمـــه
ولا كـل مـن فـي النـاس يقـرئهم مقـري [١]

وقال الحافظ ابن الجزري في مقدمته:

وهــــو حليــــة الــــتلاوة وزينــــة الأداء والقــــراءة [٢]

فالحاصـل أن الأداء يطلـق علـى تأديـة حـروف القـرآن وكيفياتهـا المستفيضة وتجويدها، ولا بد من التوكيد على أن تلك التأدية لا تنحصر على أصوات الألفاظ، بل تشمل الهيئات الأدائية كالإشمام في بعض صوره والسكت ونحوها مما نقل من وجوه الأداء، فذلك من أهم ما عني به في نقل القرآن الكريم.

الناقل:

اصطلح العلمـاء علـى إطـلاق «أهل الأداء» علـى أئمـة نقـل القـرآن الكـريم وقراءاتـه وذوي الروايـة والدرايـة فـي الـتلاوة، يُلحـظ ذلـك فـي عبـاراتهم، ومـن ذلـك قـول الشـاطبي (ت٥٩٠هـ): «تخيـره أهـل الأداء، معلَّلاً»، قال أبو شامة (ت٦٦٥هـ) – عند شرح هذه العبارة – : «وأهل الأداء القراء» [٣] ، وعبّر الجعبري (ت٧٣٢هـ): بـ«نقلة الأئمة .. وحذّاق

(١) رائية الخاقاني، ص١٨.
(٢) المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه، ص١٣.
(٣) إبراز المعاني من حرز الأماني، ص١٥١.

الناقلين» [١] ، من يتصفح تراجم القراء كمعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) وغاية النهاية في طبقات القراء للحافظ ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) يجد كثيراً من العلماء قد وصف بحسن الأداء لجودة تلاوته وإقرائه.

والنقلة يتفاوتون في درجاتهم علماً ودراية وحفظاً وأداءً، فمن حملة القرآن العالم بوجوه الإعراب والقراءات والمعاني والإسناد، ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه ليس عنده إلا الحفظ والأداء لما تعلم، ومنهم العارف بوجوه الإعراب لكن لا دراية له بالقراءات والآثار، فأما الأول فهو الذي تؤخذ عنه الرواية ويفزع إليه طلباً للدراية، وأما الآخران ومن كان على شاكلتهما فلا يؤمن عليهم من التصحيف والتخليط [٢] .

كما يتفاوتون في التحمل والأخذ عن المشايخ، ولا جرم أن المعوّل عليه عند أئمة الأداء عرض الطالب على الشيخ، وأما السماع من لفظ الشيخ أو الإجازة المجردة من العرض والسماع فلا يعتد بهما عند علماء القراءة إلا على وجه التعزيز والمتابعة؛ لأن في القراءة أموراً لا تحكمها إلا المشافهة، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ أو أجيز بقادر على الأداء [٣] .

---

(١) الجعبري ومنهجه في كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني مع تحقيق نموذج من الكنز ٤٥٨/٢.
(٢) انظر السبعة في القراءات، ص٤٥.
(٣) انظر لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني، ١٨١/١.

حقاً إن مهمة أهل الأداء تمثل جانباً مهماً في العمل الدعوي، وذلك يقوم على دعامتين أساسيتين، وهما: بناء الأجيال القادمة من خلال تعليمهم القرآن الكريم وحسن أدائه وفق ما تلقوه من أشياخهم، والدعامة الأخرى حسن تلاوته على الوجه الصحيح الذي يعطي الحرف حقه ومستحقه لفظاً ومعنى ويغري على الامتثال بتوجيهات القرآن الكريم والتخلق بآدابه، فذلك عين مفهوم الأداء، وهو «الإيصال».

قال الشيخ محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ): «وكان أهل البصيرة في الدين الجامعين بين العلم والعمل والتخلق يراعون في التلاوة المعاني وما يؤثر في القلب، ولا شك في أن كل مؤمن وكل محب للاطلاع على الحقائق والوقائع المؤثرة في أطوار البشر يعتقد أن قراءة النبي × كانت أعظم المؤثرات في إيصال علمه وهدايته إلى القلوب المستعدة والعقول المفكرة» (١) .

والعناية بهذا الجانب جد مهمة، إذ تصل أصداء الكلمة المسموعة في هذا العصر إلى آفاق واسعة وأمم شتى عن طريق وسائل الإعلام وأجهزة التسجيل المتطورة فما أجدر أهل الأداء بتوظيف تلك التقنيات في خدمة كتاب الله عز وجل ونشره في الناس.

ومن أوائل القراء الذين استثمروا وسائل الإعلام في إيصال أصدق كلام إلى العالمين الشيخ محمد رفعت (ت ١٣٦٩هـ) صاحب الصوت

---

(١) تفسير القرآن الحكيم، ٣٠٠/١.

الشجي والنغمة الطيبة، وقد استمع إلى قراءته أحد الضباط الطيارين الأجانب وهو في كنداً من خلال المذياع، فجاء إلى القاهرة ليرى الشيخ، ثم أشهر إسلامه (١) .

وهذه الصورة المشرقة لأهل الأداء تستمد طاقتها من أسلافها، فقد ذكر الحافظ ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) عن الإمام سبط الخياط (ت٥٤١هـ) «أنه كان قد أعطي من ذلك حظاً عظيماً وأنه أسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماع قراءته» (٢) .

وتصديق ذلك كله في قول الرسول ×: «زينوا القرآن بأصواتكم» (٣) ، حيث إن القرآن إذا أُدِّي بصوت حسن كان أدعى إلى الإنصات إليه، فالدعوة في الحديث إذاً لتحسين القرآن وإظهاره للناس بأحلى حلله، وليست لمجرد تحسين الصوت فحسب؛ لأن المقصود القرآن وليس القارئ، قال ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) عند هذا الحديث: «فكأنه تنبيه للمقصر في الرواية على ما يعاب عليه من اللحن والتصحيف وسوء الأداء، وحث لغيره على التوقي من ذلك، فكذلك قوله: (زينوا القرآن) يدل على ما يزين به من

---

(١) انظر هذه القصة في ذكرى الشيخ محمد رفعت الـ٣١ – مجلة الدوحة يوليو ١٩٨١م، ص٨٧.
(٢) النشر في القراءات العشر: ٣١٣/١.
(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ٣٢٩/١ رقم الحديث: (٢١٨) وأحمد في مسنده ٤٥١/٣٠ رقم الحديث (١٨٤٩٤) وعلقه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، «باب قول النبي × «الماهر بالقرآن مع سَفَرةِ الكرام ...»، ص١٣٠٢، وروي بلفظ: «زينوا أصواتكم بالقرآن» على القلب، انظر المصدر التالي.

الترتيل والتدبر ومراعاة الأدب» [1] .

المنقول إليه:

وهو المؤدَّى إليه، ولما لـه من أثر في تحقيق عملية الأداء سماعاً وامتثالاً كان مؤدياً، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [2] .

قال أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) بعد أن ساق المعنى الظاهر للآية: «قلت وفيه وجه آخر، وهو أن يكون ﴿ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ ﴾ بمعنى: استمعوا إلي، كأنه يقول أدوا إليَّ سمعكم أبلغكم رسالة ربكم» [3] ، والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبو عليها حرصاً على استماعها وأقبلوا على المذكر بها، وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية» [4] .

ويشمل الاستماع الجن كما شمل الإنس، وفي التنزيل: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [5] ، وغير خافية السورة التي تسمى باسمهم.

ولا يقف حد الإصغاء عند العوالم من الجن والإنس، بل يصعد إلى

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «زين»، ٣٢٦/٢.
(٢) سورة الدخان، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٣) تهذيب اللغة ٢٣٠/١٤ مادة «أدى» ثم أورد بعده من كلام العرب ما يؤيد هذا المعنى.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ١٠٢/٣.
(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.

الملأ الأعلى، فأجدر به استماعاً وإجلالاً، فقد وقع لغير واحد من الصحابة – رضوان الله عليهم – تنزّل الملائكة لاستماع قراءتهم [١] ، وفي الحديث: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[٢] . وقال رسول الله ×: «**لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة [٣] إلى قينته**» [٤] ، ومعنى أذناً: استماعاً [٥]، وهو من الله تعالى على الصفة اللائقة بجلاله سبحانه من غير تشبيه باستماع غيره ولا تأويل ولا تعطيل.

---

(١) انظر فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد، ص٢٤٩.

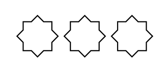
(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر من الحديث رقم (٦٨٥٣)، ص١١٧٣.

(٣) المراد بالقينة: المغنية. انظر لسان العرب، مادة (قين) ٣٥١/١٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه في السنن، «بابٌ في حسن الصوت بالقرآن»، ص١٩٠ رقم الحديث (١٣٤٠)، وأخرجه الحاكم في المستدرك، «كتاب فضائل القرآن»، ٥٧١/١ وصححه، ولم يوافقه الذهبي، وورد نحوه في صحيح مسلم بلفظ «ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به» باب استحباب تحسين الصوت بالقراءة»، ص٣٢١ رقم الحديث (١٧٤٩).

(٥) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (أذن) ٣٢/١.

والمنقول إليه يمثل المحطة الأخيرة لعملية الأداء، وهو لا يعمل عمله على الوجه الأكمل إلا إذا وصل اللفظ إلى السمع في أحسن صورة من النطق، ولذلك مقوماته التي حان بحثها فيما يأتي.

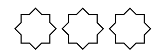


***

الفصل الثانـي:
مقومات أداء القرآن الكريم

الأصل أن القارئ يحـاول أن يُعْمِل المقومـات التـي من خلالها يبـرز مقاصد القرآن الكريم.

وما من شك أن ما يقع من تفاضـل فـي أداء القـراء جـودة وحسـناً لا يعتمد علـى المقومـات الصـوتية فحسب، بـل هنـاك مقومـات إيمانيـة ونفسية وأخرى معرفية، وفيما بـين تلك المقومات تـرابط وثيق، وكلمـا قويـت تلك الـروابط وائتلفـت كـان القـارئ أقـدر علـى تحقيـق المـراد مـع الإبحـار فـي معانـي القرآن وانجذاب المستمع إلـى تاليـه، بينمـا إذا تراخـت عجـزت عن إبراز الدلالات وبعث العواطف وإثارة الكوامن وقل تأثيرها.



المبحث الأول:
المقومات الإيمانية

كل نص له قيمته ومنزلته عند من يتكلم به، فإذا عرف القارئ مقدار المتكلِّم أدّاه على نحو يليق بمكانته، فلا جرم فرق في تلقيك خطابين، أحدهما من رئيسك وثانيهما من مرؤوسك أو من دونه، فالأول تتلقاه بكل اهتمام وعناية وتفهّم لما تضمنه من الألفاظ والمعاني القريبة والبعيدة، وأما الخطاب الآخر فلا شك أنه لا يلقى مثل ذلك الاهتمام، فإذا كان ذلك في نصوص البشر وكلامهم فيما بينهم فإن القرآن هو كلام الله جل ذكره أفضل كلام، وأصدق حديث وأحسنه، وهو وحي الله وتنزيله، منه بدأ وإليه يعود، أنزله على أفضل خلقه بواسطة أفضل ملائكته، حيث يقول جل شأنه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ ﴾ (١) ، فالقارئ إذا استحضر عند التلاوة أنه يتلو كلام تنزيل رب السموات والأرضين وخالق كل شيء ومليكه أحدث له ذلك عظمة ما يتلوه، فلا تسأل عن خشيته، وتدبره وخشوعه، يقول تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) . أي فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ ــ ١٩٤.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٢١.

تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه» [1] .

ولا ريب أن الاستحضار القلبي لمصدر هذا القرآن العظيم أقوى عوامل مقومات الأداء الإيمانية، حيث العظمة الربانية وثمة الجلالة الإلهية وما تضمنه آي الذكر الحكيم من المعاني القدسية الجامعة، فإذا انضم إلى ذلك استحضار المشاهد الأخروية وما ادخر لتاليه من الأجر والمثوبة كان ذلك أدعى لتعانق المعاني والألفاظ وتجاوب القلب مع اللسان والآذان، وتلك هي التلاوة المستوفية قوامها، ويصدق على قارئها قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [2]، وقول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [3] ، وفي الحديث الشريف: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» [4] .

وللآجريّ محمد بن الحسين (ت٣٦٠هـ) – رحمه الله – كلام قيم في

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠٤/٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢١.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٩.
(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، «باب كيف يستحب الترتيل في القراءة»، ص٢١٨ رقم الحديث (١٤٦٤)، والترمذي في جامعه، كتاب فضائل القرآن، «باب الذي ليس في جوفه من القرآن كالبيت الخراب ..»، ص٦٥٥ رقم الحديث (٢٩١٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، «أخبار في فضائل القرآن جملة» ٥٥٢/١، وصححه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

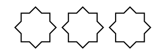
تصوّر مخلوقات الله العظيم والمشاهد الأخروية وأثرها عند قراءة القرآن، ونصه: «قال محمد بن الحسين: وقد قال الله عز وجل في سورة ق والقرآن المجيد ما دلنا على عظم ما خلق من السموات والأرض وما بينهما في عجائب حكمته في خلقه، ثم ذكر الموت وعظم شأنه، وذكر النار وعظم شأنها، وذكر الجنة وما أعد لأوليائه، فقال عزّ وجلّ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾ [1] إلى آخر الآية، ثم قال بعد ذلك كله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴾ [2] ، فأخبر جل ذكره أن المستمع بأذنيه ينبغي أن يكون مشاهداً بقلبه ما يتلو وما يستمع لينتفع بتلاوته للقرآن الكريم وبالاستماع ممن يتلوه» [3] .

وإذا جاءت القراءة مستوفية قوامها الإيماني تفاعلت معها قوى النفس البشرية وما يتصل بها من التكوين الخلقي، إذ يقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [4] ، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): «وقد اقتضى قوله: ﴿ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ أن القرآن يشتمل على معانٍ تقشعر منها الجلود وهي المعاني الموسومة بالجزالة التي تثير في النفوس روعة وجلالة رهبة تبعث على امتثال السامعين له وعملهم بما يتلقونه من قوارع القرآن

(١) سورة ق، الآية: ٣٥.
(٢) سورة ق، الآية: ٣٧.
(٣) أخلاق حملة القرآن، ص٩.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

وزواجره، وكَّني عن ذلك بحالة تَقارُنِ انفعال الخشية والرهبة في النفس لأن الإنسان إذا ارتاع وخشي اقشعر جلده من أثر الانفعال الرهبني، فمعنى ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ﴾: تقشعر من سماعه وفهمه، فإن السماع والفهم يومئذ متقارنان لأن السامعين أهل اللسان، يقال: اقشعرّ الجلد، إذا تقبض تقبضاً شديداً كالذي يحصل عند شدة برد الجسد ورعدته، يقال: اقشعر الجلود كناية عن وجل القلوب الذي تلزمه قشعريرة في الجلد غالباً [١] .

وبذا يتضح أن المقومات الإيمانية للأداء القرآني من أولى ما ينبغي أن يُعنى به القارئ، فبها تشف النفس وتصفو، ومن خلالها تبدو إشراقات معاني القرآن وأنواره.



(١) التحرير والتنوير ٣٨٨/٢٣.

المبحث الثاني:
المقومات النفسية

تبدأ عملية الكلام والاستماع بالأحداث النفسية، وبها تنتهي، ذلك أن الكلام يقوم في الذهن أولاً ثم يعبر عنه عن طريق جهاز النطق بألفاظ ترمز إليه [(١)] ، وفي ذلك يقول الشاعر:

إن الكـــــلام لفـــــي الفـــــؤاد وإنمـــــا
جعـــل اللســـان علـــى الفـــؤاد دلـــيلاً [(٢)]

فإذا انتقل الكلام عبر البذبذبات الصوتية إلى الجهاز السمعي أخذت الأحداث النفسية والعمليات العقلية تترجمه وتحلله [(٣)].

ولهذا فإن القارئ إذا تصوّر ما يتلوه من القرآن الكريم إجلالاً وجمالاً أداه بتدبر ووقار، وبرغبة ورهبة، وبذلك ينفذ إلى مشاعر المستمع بأحاسيس صادقة ومعانٍ ذات دلالات عميقة.

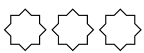
ولقد عني السلف الصالح بهذا الجانب من التلاوة واعتبروه خطوة أساسية لحسن التلاوة وفهمها، فكان الإمام الحسن البصري (ت ١١٠هـ) إذا فتح المصحف ربما تسيل عيناه وشفتاه لا تتحركان [(٤)] ، وكان الإمام

(١) انظر علل اللسان وأمراض اللغة، د. محمد الكشّاش، ص٨١.
(٢) وهو منسوب إلى الأخطل، وقد بحثت عنه في ديوانه فلم أجده فيه، لكن استشهد به غير واحد، ومنهم ابن هشام في شذور الذهب، ص٢٨، وعزاه إليه.
(٣) انظر المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصرة د. عبدالقادر الخليل، ص٨١، وعلم الأصوات اللغوية د. مناف الموسوي، ص١٤.
(٤) انظر المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة، ص٢٠٧.

عبدالله بن كثير – (ت ١٢٠هـ) أحد القراء السبعة – إذا أراد أن يُقرئ أصحابه وعظهم، ليقبلوا على قراءة القرآن بقلوب خاشعة [١] .

وما الاستعاذة قبل البدء بقراءة القرآن الكريم إلا تهيئة للنفس وسياج لها من وساوس الشيطان وكيده.

ثم وكّد النبي × المحافظة على الصفاء النفسي منذ البدء بتلاوة القرآن الكريم إلى حين الفراغ منه، وذلك في قوله ×: «**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه**» [٢] ، ومعنى هذا الحديث أنه – عليه السلام – أرشد وحضّ أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته، متفكرة متدبرة له، لا في حال شغلها وملالها، فإنه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك [٣] ، ولذلك كانت فرصة القراءة أو الاستماع في حمى الصلاة أكثر تأثيراً لقلة دواعي السياحة الدنيوية.



(١) انظر المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر لأبي الكرم الشهرزوري ٤٣٧/٢.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، «باب اقرؤوا القرآن ..»، ص٩٠٦، رقم الحديث (٥٦١)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، «باب النهي عن متشابه القرآن»، ص١١٦١، رقم الحديث (٦٧٧٧).
(٣) فضائل القرآن لابن كثير، ص١٧١.

المبحث الثالث:

المقومات المعرفية

تتصدر معرفة مخارج الحروف وصفاتها تلك المقومات، وذلك بتوفية الحروف حقوقها من حيث المخارج والصفات اللازمة والعارضة، ومراعاة أحكامها مفردة أو متصلة بما قبلها أو بعدها، والدراية باختلاف أحوالها وصلاً ووقفاً وابتداءً.

ويتدارك ذلك بالمواظبة على الدرس، وكثرة العرض على القراء المحررين، والمداومة على رياضته بمجالسة العلماء ممن وهبهم الله حسن التأدية وإدمان الاستماع إليهم والأخذ عنهم [1] .

وليس كل من تصدر للإقراء أو انتصب للأداء يؤخذ عنه، كما قال أبو مزاحم الخاقاني (ت٣٢٥هـ):

فما كل من يتلو القرآن يقيمه

ولا كل من في الناس يقرئهم مقرئ [2]

وإنما يُتعلّم ممن كملت أهليته، واستقامت طريقته، وسلم من البدع والأهواء، وأؤتمن على دينه وفيما ينقله من وجوه الأداء [3] ، فيجب على

(١) انظر بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء لابن البناء، ص٣٤.

(٢) رائية الخاقاني (القصيدة الخاقانية)، ص١٨.

(٣) انظر شرح القصيدة الخاقانية التي قالها في القراءة وحسن الأداء للداني، ص١١، ٢٥.

طالب القرآن الكريم «أن يتخير لقراءاته ونقله وضبطه أهل الديانة والصيانة والفهم في علوم القرآن والنفاذ في علم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم» (1) .

ولئن كان إحكام الحروف من الأهمية بمكان فإن فهم المعاني والدراية بأغراضها ليس بأقل منها شأناً، إذ اجتماعهما يحدث التدبر الذي هو حياة القلوب، وحلاوة اللسان، وحلية الآذان.

إن القارئ لا يستطيع أن يوفّي الكلمات حقها تأثراً وتأثيراً إذا لم يفهم معانيها، إذ الأداء الصوتي لا يتحقق له كمال مقصوده إلا إذا كان مؤتلفا مع المعاني، فمع معاني الوعد يكون الأداء تشويقاً، ومع الوعيد تخويفاً.

وليس بماهر القراء من يظهر السرور في أدائه عند آيات الخشوع والانكسار، ويرفع صوته عند آيات الخضوع، «فمثل ذلك مثل ملك أمر المنادي أن ينادي في الرعية بوعيد هائل يكاد تشيب منه الرؤوس، فنادى بنداء طرّب فيه وتغنى وجاء بألحان السرور، أفليس يمقته الملك على ذلك ويغيظه»(2)؟! وإنما الماهر من إذا تلا قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (3) ، ونحو ذلك من ألفاظ الوعيد أبان في لهجته وجه التخويف بصوت فيه زجر وتحذير، فإذا قرأ قول الله تعالى: ﴿

(1) الرعاية لمكي بن أبي طالب، ص258.
(2) الأمثال من الكتاب والسنة للحكيم الترمذي، ص79.
(3) سورة آل عمران، الآية: 28.

ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [١] ، ونحو ذلك من آيات الوعد أرسل صوته كالمتنشط المسرور وأداها بكل شوق وتوق.

وتكمل المقومات المعرفية الخاصة إذا استطاع القارئ أن يؤدي الألفاظ المتغايرة في المعاني في مساحة ضيقة دون أن يخرج عن طبعه، فينتقل بين رياض المعاني بلطف وشفافية دون نشاز في الأصوات وتنافر في التلفظ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [٢]، فالجملة الأولى تؤدى على نحو من الزجر والتهديد، والجملة التي تليها تؤدى على نحو آخر من التبشير والترغيب، وكقوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [٣] . فقد اجتمع في هذه الآية عدة معاني من الإخبار الأمر والنهي والنذارة والبشارة [٤] ، ولكل معنى صوته الذي يستحقه، ويضبط ذلك بالمشافهة ورياضة التلاوة.

وكلما تعددت حقول المعرفة لدى القارئ الماهر وتعرف على الأساليب المختلفة في أداء الكلام كان أقوم لأداء القرآن الكريم ممن هو أقل منه معرفة بالثقافات الأخرى.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٧٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.
(٣) سورة القصص، الآية: ٧.
(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي، ٢٥٢/١٣.

***

ومن أهم العلوم التي تساعد القارئ على حسن الأداء علوم اللغة العربية [1] ، من اللهجات العربية ومن النحو والصرف والبلاغة، حتى يستطيع أن يعطي كل لفظة وجملة حقها من الاستفهام والإخبار والتعجب والتحضيض والأمر والنفي والتأكيد .. إلخ.

ومنها الفقه بأحكام القرآن، فمثلاً قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥ ﴾ [2] ، حيث إنه من قال من الفقهاء لا تقبل شهادة القاذف وإن تاب كان الوقف عنده على ﴿ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ ﴾ ، بينما من قال تجوز شهادته إذا تاب كان الكلام عنده متصلاً، وتمام الوقف عليه عند قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [3] .

ويعتبر علم التفسير دعامة أساسية في مقومات الأداء، وذلك أن مصادر التفسير تشكل موسوعات ثقافية في اللغة والمعاني والاعتقاد والفقه والتاريخ وأحوال العمران البشري، وكل ذلك ينمي من مهارات الأداء، حيث إنه يساعد على الكشف عن الصيغ المناسبة لأداء كل سورة ومقاطعها وجملها وكلماتها.

وقد نوّه الإمام مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) بهذا الجانب المعرفي

---

(١) انظر منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، ص٥٠.
(٢) سورة النور، الآيتان: ٤، ٥.
(٣) انظر القطع والائتناف للنحاس، ٩٤/١.

في كتابه القيم: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، وفي هذا السياق يقول – رحمه الله: «ينبغي لطالب القرآن أن يتعلم أحكام القرآن، فيفهم عن الله ما فرض عليه ويلقَن عنه ما خاطبه به، فينتفع بما يقرأ، ويعمل بما يتلو وأن يتعلم الناسخ والمنسوخ فيعلم ما فرض الله عليه مما لم يفرض عليه، وما سقط العمل به مما العمل به واجب، وأن يتعلم الفرائض والأحكام، فما أقبح حامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يعلم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه، وما أقبح به أن يُسأل عن فقه ما يتلو فلا يدريه، فما من هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

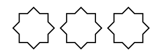
وينبغي لطالب القرآن أن يعرف المكي من المدني، فيفهم بذلك ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض عليهم في أول الإسلام، وما زاد عليهم من الفرائض في آخره، ويَقْوى بذلك على معرفة الناسخ والمنسوخ، لأن المدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن، ولا يمكن أن ينسخ المكي المدني؛ لأن المنسوخ هو المتقدم في النزول قبل الناسخ له.

ومن كمال حال طالب القرآن أن يعرف الإعراب وغريب القرآن، فذلك مما يسهل عليه معرفة معنى ما يقرأ ويزيل عنه الشك في إعراب ما يتلو.

فهذا كله من كماله ومن تمام شرفه وبراعته وتهذيبه، فقد قالت

عائشة – رضي الله عنها: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يشق عليه القرآن له أجران بمشقته وتلاوته)» [1] [2].

وإذا تقرر أن مفهوم الأداء يشمل السامع فإن الله امتدح أولئك الذين فاضت أعينهم عند سماع القرآن بسبب ما عرفوا من الحق، فقال جل شأنه: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [3] .



(١) هذا حديث مرفوع، وسيأتي ذكره وتخريجه في المبحث الأول من الفصل الثالث.
(٢) الرعاية، ص٨٦.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

المبحث الرابع:
المقومات الصوتية

الصوت راحلة القارئ، فإذا كانت الراحلة تزين حاملها وتسر الناظرين إليها، فإن الصوت يزين قارئه ويغري السامع إلى الإنصات إليه، ومهما أوتي القارئ من سعة الاطلاع والرواية وقوة الحفظ وضبط الحروف فإنه لا يقدر على منافذ التأثير على السمع إن لم يعمل الجانب الصوتي في أدائه.

ولا جرم أن القراء يتباينون في تلاوتهم تبعاً لتباين أصواتهم جودة وعذوبة، بيد أن حسن الأداء لا يتوقف من جهة الصوت على الخلق والتكوين، فكم من قارئ يقع صوته في النفوس أكثر ممن هو أندى منه صوتاً، وما ذاك إلا لتوفر عوامل أخرى عند القارئ استدعت الاستماع والإصغاء إليه، ومن أهمها موافقة الكيفيات الصوتية قواعد التجويد ومعاني الألفاظ ومشاعر الوجدان، إذ التجويد هو الضابط لتفخيم حروفه وترقيقها وانحباس الصوت وجريانه، وأيضاً المعاني وما تحدثه من انفعال وجداني هما العاملان في ارتفاع الصوت وانخفاضه وسرعته وبطئه.

وليست الهيمنة لقواعد النغم، وإن وقع خلاف بين العلماء في جواز القراءة بالألحان [١] ، على أن هذا الخلاف عند إمعان النظر مرتب لا

(١) انظر مقدمة ابن خلدون، ص٤٢٥ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٨٦/١٩.

مفرّغ، وذلك أن القراءة بالألحان لا تخرج عن حالتين:

الحالة الأولى:

الألحان التي تسمح بها طبيعة الإنسان من غير تصنّع، وهذا ما يفعله أكثر الناس عند قراءة القرآن، فإن كل من تغنّى بالقرآن فإنه لا يخرج عن ذلك التلحين البسيط، وذلك جائز، وهو من التغني الممدوح المحمود، كما قال الرسول ×: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» [1] ، وعلى هذه الحالة يحمل الحكم بالجواز والاستحباب.

الحالة الثانية:

الألحان المصنوعة والإيقاعات الموسيقية التي لا تحصل إلا بالتعمّل والتمرين، ولها مقادير ونسب صوتية لا تتم إلا بها، فذلك لا يجوز؛ لأن أداء القرآن له مقاديره التجويدية المنقولة التي لا يمكن أن تتوافق مع مقادير قواعد تلك الألحان إلا على حساب الإخلال بقواعد التجويد، وذلك أمر ممنوع.

وفي ذلك يقول ابن القيم (ت ٧٥١هـ): «وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم برءاء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها ويسوِّغوها، ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ﴾ سورة تبارك، الآية: ١٣، ص١٢٩٩، رقم الحديث: (٧٥٢٧).

ويحسنون أصواتهم بالقرآن، ويقرؤونه بشجي تارة، وبطرب تارة، وبشوق تارة، وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه وندب إليه، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به، وقال: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**»، وفيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار بالواقع الذي كلنا نفعله، والثاني: أنه نفي لهدي من لم يفعله عن هديه وطريقته ×» (١) .

ويقول ابن كثير (ت٧٧٤هـ): «والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي فالقرآن ينزه عن هذا ويُجلّ، ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب» (٢) .

وما ينادي به بعض الكتاب من تلحين القرآن بزعم تصوير المعاني وضبط الأنغام، وربما تمادى بعضهم وطالب بما يقارن تلك الألحان بالآلات الموسيقية (٣) ، فكل ذلك جرأة على كتاب الله تعالى ذكره وتقدس اسمه، ولا شك أن الاشتغال بتلك الأنغام يوقع القارئ في تحوير الألفاظ، ويصرف السامع عن تدبر المعاني، بل يفضي بها إلى التغيير، وكتاب الله تعالى مجد المسلمين ينزه عن ذلك.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم: ٤٩٣/١.
(٢) فضائل القرآن، ص١١٤.
(٣) انظر مقال: «حول فكرة تلحين القرآن» لعبد الفتاح القاضي بمجلة الأزهر الجزل الأول، عدد محرم ١٣٨٧هـ، والجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم للبيب السعيد، ص٣٤٣.

***

إن لأداء القرآن الكريم خصائصه التي تميزه عن سائر الكلام، ومحاولات التجديد التي لا تستند إلى تلك الخصائص لا تلبث أن تؤد في مهدها، ويأبى الله إلا أن يحفظ كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الفصل الثالث:
خصائص أداء القرآن الكريم

القرآن كلام الله تعالى ذكره، فذلك أُسّ الخصائص ورأس المزايا، وهناك صفات اختص بها أداء القرآن الكريم تدل على ما لهذا النوع من الأداء من مكانة منيفة من جهة أسلوبه ومعانيه وآثاره، وبيانها في المباحث التالية:

المبحث الأول التعبد

إن خصِّيصة التعبد سمة يمتاز بها القرآن الكريم في مبانيه ومعانيه، لجلالة المتكلم به تعالى ذكره، «وهذا أوجب تعظيم حروف القرآن المنطوقة والمسطورة، وكان لها من الأحكام الشرعية ما امتازت به عما سواها» [1].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٤٤٩/١٢.

وليس ثمة كلام جمع خصال التعبد في ألفاظه ومعانيه إلا القرآن الكريم، ولذلك يتأكد في حق تاليه الركنان الأساسيان لقبول العمل، وهما: أن تكون التلاوة وفق الصفة المتلقاة عن الرسول × وأئمة الأداء جيلاً إثر جيل، وأن تكون خالصة لله تعالى ابتغاء وجهه الكريم.

وكلما كان القارئ متلبساً بهذين الركنين كان أكثر تأثراً وتأثيراً بما يتلوه من الذكر الحكيم، ولهذا كان للقراءة في الصلاة صبغتها التي لا تكاد تكتمل في غيرها، وذلك لما للصلاة من دور كبير في استحضار تلك الخصيصة وإذكائها.

وإذا كان من أصول الإسلام الثواب من الله جل وعلا لمن أخلص له فإن تلاوة القرآن الكريم قد خصّت بنصوص شريفة تضمنت أجوراً كريمة تحفز القارئ إلى الإحسان في أدائه، ومنها قول الرسول ×: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» (١) ، فقد تضمن هذا الحديث أجر الماهر، وهو الحاذق والمتقن، فكأنه مع السفرة البررة فيما يستحقه من الثواب، والسفرة هم الملائكة (٢) .

ولله درّ الخاقاني (ت٣٢٥هـ)، حيث قال رحمه الله:

فيا قارئ القرآن أحسن أداءه

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، «باب فضل الماهر بالقرآن»، ص٣٢٣، رقم الحديث: (١٨٦٢).

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «سفر» ٣٧١/٣ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٤٣/١٨.

***

يضـــاعف لـــك الله الجزيـــل مـــن الأجـــر [1]

۞۞۞

(١) رائية الخاقاني، ص١٨.

المبحث الثاني:

الإعجاز

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التي اختص بها الرسول × من بين سائر الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام.

والقرآن العظيم منطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة، وذلك أن لغة القرآن الكريم قد بلغت المنتهى لفظاً ومعنى، فجاءت على أحسن الكلام وأجزله وأبدع الأساليب وأرقاها، وأكمل المعاني وأسماها، فلا جرم أن أداءه قد وقع على ذلك المنوال كمالاً وإعجازاً، وليس ذلك إلا لمن أداه على وجه الفصاحة طبق ما تواتر عن الرسول × وأئمة الأداء، فإنه إذا جاء على هذه الصفة لحق بقلوب سامعيه هيبة وجلالاً، وكان ترداده يزين آذان سامعيه لذاذة وتجملاً، إذا تليت آيات وعيده اقشعرت منه الجلود، وإذا قرأت آيات وعده استبشرت به النفوس وانشرحت له الصدور، وصدق الله عز وجل القائل:

ا ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [١] ، فذلك من ضروب إعجازه التي نوّه بها علماء القرآن واللغة [٢] ، وفي التنزيل: ا

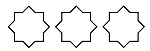
(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٢) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٣٨٤/١ وبيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص٧٠ والبرهان في علوم القرآن

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ (١) . فكفى بتلاوته دليلاً على صدق برهانه.

ويقرّب الدكتور محمد عبدالله دراز (ت ١٣٧٧هـ) هذه المسحة الصوتية الخاصة بترتيل القرآن والمعبرة عن معجزته الخالدة، فيقول: «أول ما يلاقيك ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره، دع القارئ المجود يقرأ القرآن ويرتله حق ترتيله نازلاً بنفسه على هوى القرآن، وليس نازلاً بالقرآن على هوى نفسه، ثم انتبذ منه مكاناً قصياً لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها ومداتها وغناتها وسكتاتها، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وقد جرِّدت تجريداً وأرسلت ساذجة في الهواء، فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب لا تجده في كلام آخر لو جرِّد هذا التجريد وجوِّد هذا التجويد» (٢) .

وملامح الإعجاز في الأداء القرآني تتجاوب من جميع أنحائه، فإن أجريت لسانك بألفاظه وجدت سلاسة في جريها، وإن ألقيت سمعك إليها تلذذت بحلو مذاقها، فإن أعملت عقلك في معانيها ومغازيها تجلّت لك أبعاد الإعجاز فيها، فما ظنك بأداء تظافرت فيه تلك الجوانب جميعها.



للزركشي ١٠٦/٢ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ٨/١٩ والمعجزة الكبرى لأبي زهرة، ص٣٠٤.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥١.

(٢) النبأ العظيم، ص١٠١.

المبحث الثالث:

التجويد

استبان من الخصيصتين الآنفتي الذكر أن التجويد شرط في كل منهما، فمتى عريت التلاوة منه لم يكن موافقاً لما جاء عن الرسول × ونقله القرآن، ومن ثم فإن ملامح الإعجاز الأدائي تتوارى.

وتجويد القراءة إعطاء الحروف حقوقها بإخراجها من مخارجها وتوفيتها صفاتها، والتسوية بين نظائرها، من غير إفراط ولا تفريط [1] .

والمعوّل عليه في التجويد ما اعتبره أئمة القراءة أولي الدارية، كما قال الخاقاني (ت ٣٢٥هـ) في رائيته:

وإن لنا أخذ القراءة سنة
عن الأولين المقرئين ذوي الستر

وقال مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ): «وليس قول المقرئ والقارئ: أنا أقرأ بطبعي وأجد الصواب بعادتي في القراءة لهذه الحروف من غير أن أعرف شيئاً مما ذكرته بحجة، بل ذلك نقص ظاهر فيهما لأن من كانت حجته هذه يصيب ولا يدري، ويخطئ ولا يدري، إذ علمه واعتماده على طبعه وعادة لسانه يمضي معه أينما مضى به من اللفظ، ويذهب معه أينما ذهب، ولا يبني على أصل، ولا يقرأ على علم، ولا

(١) انظر التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص٦٢، ولطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني، ٢٠٧/١.

يقرئ عن فهم .. فلا يرضين امرؤ لنفسه في كتاب الله جل ذكره وتجويد ألفاظه إلا بأعلى الأمور وأسلمها من الخطأ والزلل» [١] .

والتجويد مزية مهمة في أداء القرآن الكريم، ولا يروم الكمال في الأداء إلا كُمّل المجودين الذين يعنون بتجويد الألفاظ والوقوف على حقائق الكلام، وانتهاء الغاية في الإتقان [٢] .

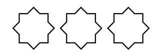
ولا ريب أن تجلية المعاني إحدى دعامات حقائق الكلام، ولها حظ وافر في البلوغ به إلى درجة الإتقان، فلئن كان الصوت مطية المعنى فإنه متى تغير المعنى كان القارئ مخلاً بالتجويد إخلالاً ظاهراً أو خفياً، أما الظاهر – وهو اللحن الجلي – فيستوي في معرفته الخاصة والعامة، وأما الخفي فهو كاسمه لا يقف عليه إلا حذاق القراء، ومنه الفرق بين الخبر والاستفهام والنفي والإثبات، ونحو ذلك [٣] .

فالتجويد إذاً لا ينحصر على جهة التلفظ بمخارج الحروف وصفاتها دون مراعاة معانيها، وهذا هو المفهوم الأسدّ للتجويد الذي عليه أئمة الأداء، فكان الإمام حمزة الزيات (ت ١٥٦هـ) يقول: «إن الرجل ليقرأ القرآن فما يلحن حرفاً، أو قال: ما يخطئ حرفاً، وما هو من القراءة في شيء»، وربما قرأ الرجل على الإمام عاصم بن أبي النَّجود (ت ١٢٧هـ)

---

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب، ص٢٥٤.
(٢) انظر المصدر السابق، ص١٥٤ والتحديد في الإتقان والتجويد للداني، ص١٦٩.
(٣) انظر التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص٢٣٧ والموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم الشيرازي، ١/١٥٩.

فيقول ما قرأتَ حرفاً، قال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) معلقاً على هذا الخبر وما أشبهه: «يريد أنك لم تقم القراءة على حدها، ولم توفّ الحروف حقها، ولا احتذيت منهاج الأئمة من القراء، ولا سلكت طريق أهل العلم بالأداء» [١] .



(١) شرح القصيدة الخاقانية للداني، ص٢٧.

***

المبحث الرابع:
التدبر والتذكر

إن القرآن هو كتاب الأمة الإسلامية ومنهاجها، ومعراج الوصول إلى هداياته ومقاصده يكون ببذل الوسع في تدبر معانيه وتذكرها.

وإذا كان حسن التعامل مع الألفاظ أحد آداب القرآن الظاهرة فإن التدبر والتذكر أعظم آدابه الباطنة، حيث يقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [1]، «قال بعض العلماء: إن الله تعالى أنزل هذا الكتاب وجعل حكمه بين أمرين، التدبر والتذكر، فمن لم يحصل له في قراءته أو في سماع تلاوته تدبر ولا تذكر لم يفز بنائل» [2].

والمقصود بالتدبر في الآيات: «التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يُدْبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة» [3]، فالتدبر هو الحضور العقلي [4].

والمراد بالتذكر: الحضور القلبي، هو الاتعاظ، فالتذكر أحد آثار

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٢) بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء لابن البناء، ص٣٩.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري، ٣٧٢/٣.

(٤) انظر إحياء علوم الدين للغزالي ٢٨٧/١.

التدبر، وهو استدامته بالانتفاع به [١] .

والقارئ والمستمع شركاء في التدبر والتذكر وصفة ذلك أن يشتغل القارئ في معاني ما يلفظ بلسانه، والمستمع فيها يصل إلى آذانه، فيترجم العقل ذلك بالتدبر والتأمل في معانيها ومراداتها، ويترجمه القلب بالاعتقاد، ثم يتبعه العمل، ويوضح برهان الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ذلك فيقول – رحمه الله: «فإذا مر بآية رحمة فرح بما وعده الله تعالى منها، واستبشر إلى ذلك، وسأل الله برحمته الجنة، وإن قرأ آية عذاب وقف عندها وتأمل معناها، فإن كانت في الكافرين اعترف بالإيمان فقال آمنا بالله وحده، وعرف موضع التخويف، ثم سأل الله تعالى أن يعيذه من النار، وإن هو مر بآية فيها نداء للذين آمنوا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [٢]. وقف عندها، وقد كان بعضهم يقول: لبيك ربي وسعديك ويتأمل ما بعدها مما أمر به ونهي عنه فيعتقد قبول ذلك، فإن كان من الأمر الذي قصّر عنه فيما اعتذر عن فعله في ذلك الوقت، واستغفر ربه في تقصيره ..» [٣] .



(١) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة (ذكر)، ص١٧٩ ونظم الدّرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٣٧٦/١٦ وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٥٢/٢٣.

(٢) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة (ذكر)، ص١٧٩، ونظم الدّرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٣٧٦/١٦ وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٥٢/٢٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٤٥٠/١.

***

الباب الثاني:
غايات الأداء القرآني وظواهره وتطبيقاته

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: غايات الأداء.
- الفصل الثاني: ظواهر الأداء.
- الفصل الثالث: دراسة تطبيقية على سورة الفاتحة.

***

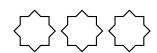
***

الفصل الأول:

غاية الأداء

مهما تعددت الغايات في أي أداء فإن مدارها هو الإفهام [١] ، وبقدر ما يكون الأداء أكثر جودة تدرك غايات الأداء مطالبها فصاحة في التعبير وتأثيراً في النفوس والأخلاق.

والمقصود بغايات الأداء ما اشتملت عليه آيات القرآن الكريم من المعاني والمقاصد كالأمر والنهي والإثبات والنفي والخبر والاستفهام والحث والتحضيض والتهلف والتندم والتعظيم والتحقير .. إلخ مما لا يحده حصر، غير أنها يمكن أن تندرج في ثلاثة معانٍ رئيسة، وهي: الدلالات التصويرية والإثارة الوجدانية والروعة الجمالية.



(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٧٦/١.

***

المبحث الأول:
الدلالات التصويرية

تتم عملية تجسيد الصور الذهنية بواسطة الدلالات الصوتية أو الكتابية أو غيرهما من وسائل التعبير، ومنه ما يقع في أثناء الخطب من رفع الصوت وتكييفه بما تقتضيه الحال من صيحة التخويف والزجر، أو غنة الاسترحام والعطف، أو رنة النعي وإثارة الحزن، أو نغمة التشويق والشجو، أو هيعة الاستصراخ عند الفزع، أو صخب التهويش وقت الجدل، ومنه الاستعانة بالإشارات، وتصوير المعاني بالحركات، ومنه كتابة بعض الكلمات أو الجمل بحروف كبيرة أو وضع خط فوقها أو تحتها [١].

ومقتضى الأداء السليم العناية ببيان دلالات الآيات ومقصادها بحيث تتصور ظلال معانيها في النبرات الصوتية والإشارات الأدائية ذات الدلالات المعنوية من الإشمام والروم والوقف والوصل والابتداء، وغيرها، فذلك هو الأداء الحي الذي تتناغم فيه أصوات الحروف ومضامينها.

وذلك لون من ألوان البيان، ولهذا أدخل بعض العلماء في تعريف التفسير بيان كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم وبيان مدلولاته [٢] .

---

(١) تفسير القرآن الحكيم للشيخ محمد رشيد رضا ٢٩٩/٨.
(٢) انظر رسالة في مبادئ التفسير للشيخ محمد الخضري الدمياطي، ص١١.

***

وتعد المراوحة بين الهيئات الصوتية من أبرز الدلالات المهمة للدلالات التصويرية، فلا جرم أن تلاوة القرآن والتغني به تستلزم المراوحة بين الارتفاع والانخفاض، ومتى توافق الصوت مع المراد تجلى المعنى، ومتى اختلفا لم يبرز المعنى، وربما أدى إلى معنى عكسي أو غير صحيح، ألا ترى أن القارئ لو رفع صوته في «ما» في قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [1] لأوهم أنها نافية، بينما هي مصدرية «أي نسينا كنسيانهم وكونهم جحدوا بآياتنا» [2] ، وذلك يقتضي أن تُلفظ بصوت غير عال لتعطي هذا المعنى.

ولهذا تعدّ مراتب الصوت أحد الأسس المهمة في غايات الأداء من حيث إيضاح الدلالات التصويرية في الأداء القرآني، وعلماء التجويد يعبرون عنها بـ«رفع الصوت وخفضه» [3] ، للتمييز بين المعاني، ويتأكد ذلك في الألفاظ المتفقة رسماً ولفظاً، إذ لا سبيل للتفريق بينها إلا برفع الصوت وخفضه، مثل «لولا»، حيث يقول محمد السمرقندي (ت ٧٨٠هـ): «وهي على ضربين:

أحدهما أن تأتي لامتناع الشيء لوجود غيره، ويليها المبتدأ والخبر،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥١.

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمداني، ٣٠٩/٢.

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد د. غانم قدوري، ص٥٦٧.

كقولـه تعالى: ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ [(١)] .

والآخر أن تأتي للتحضيض، بمعنى (هلا) ويليها الفعل كقولـه تعالى: ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ [(٢)] ، والفرق بينهما في اللفظ أن الداخلة على المبتدأ والخبر يخفض الصوت بـ(لو)» [(٣)] . وقد اجتمعتا في قولـه تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾[(٤)]. فالأولى امتناعية والثانية تحضيضية [(٥)] ، ولكل واحدة منهما أداؤها الخاص الذي يبرز معناها.

كما يتأكد ذلك عند الخوف من التباس المعاني، فتمييز الصوت يبرز المعنى الصحيح ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ ﴾ [(٦)] ، يرفع الصوت على النار إشارة إلى أن النار مبتدأ بعد القول، وليست فاعلة [(٧)] .

وذلك ما يعرف عند المحدثين بالتنغيم، ومعظم اللغات تستخدمه للتفريق به بين المعاني، ويعدّ في اللغة العربية من أهم متطلبات الفصاحة [(٨)] وهو عند علماء القراءة فعلياً من أهم متطلبات حسن الأداء، ومن خلال تتبع جملة من النصوص تبين أن مقادير رفع الصوت وخفضه تأتي على

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٨.
(٣) وقوف القرآن وماءاته وأجزاؤه وتقسيماته (٩/ب).
(٤) سورة القصص، الآية: ٤٧.
(٥) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد ٧١٩/٣.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٢٨.
(٧) وقوف القرآن وماءاته وأجزاؤه وتقسيماته، سورة الأنعام (نسخة غير مرقمة)، وذكر نحو ذلك في سورة يوسف، عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ الآية: ٦٦.
(٨) انظر التنغيم ودوره في التحليل اللغوي، ص٧٧، ٧٩.

ثلاث مراتب، وهي:

أ- مرتبة معتادة.

ب- مرتبة منخفضة.

ج- مرتبة مرتفعة.

وبيان ذلك فيما يلي:

أ- المرتبة المعتادة:

وهي الصفة الغالبة على التلاوة، وتأتي في الصيغ والأدوات الإخبارية غالباً، وربما عبروا عنها بخفض الصوت بالنظر إلى ما جاورها إذا كان ذا مرتبة عالية، نحو المثال في «لولا» المذكور آنفاً.

وربما عبروا عنها بأنها مما لا يبين في القراءة [١] ، وذلك بالنظر إلى المراتب الأخرى المنخفضة والمرتفعة.

ب- المرتبة المنخفضة:

ولهذه المرتبة أصل ذكره ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) عن التابعي الجليل الإمام إبراهيم بن يزيد النَّخعي (ت ٩٦هـ)، ونصه: «ينبغي للقارئ إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [٢] ونحو ذلك من الآيات أن يخفض بها صوته» [١] ، وقوله:

(١) انظر المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر لأبي الكرم الشهرزوري، ٤/١٥٥٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

«ونحو ذلك من الآيات» يشير إلى أن هذه قاعدة مضطردة فيما شابهها، ولهذا علق ابن الجزري عقب هذا النص بقوله: «وهذا من أحسن آداب القراءة».

وكان القارئ الشهير الشيخ محمد رفعت (ت ١٣٦٩هـ) – رحمه الله – يعنى بهذا الأدب، وإن شئت فاستمع إليه، وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾ (٢) ، حيث خفض صوته عند قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾ ، مصوراً إسرار نبي الله يوسف – عليه السلام – في حزازة نفسه هذه المقالة: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾ دون أن يسمعها إخوته (٣) .

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ (٤) ، فالماهر في القراءة هو الذي يستطيع أن يبرز هذه الصورة، ويجعلها حية في أدائه، بحيث يخفض بها صوته مثيراً خيال المستمع ليتصور حالة أصحاب الجنة وهم يتخافتون في حديثهم هذا: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ .

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراءة ٣٠/١، وورد نحوه في كتاب الأمثال من الكتاب والسنة للحكيم الترمذي، ص٨٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٧.

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٢٣/٣، وفي الآية معنى آخر، وهو أن قوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾ كلام مستأنف لا يعود على الضمير المذكور في ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ ، انظر البحر المحيط لأبي حيان ٣٣٤/٥.

(٤) سورة القلم، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

***

ج- المرتبة المرتفعة:

يشهد لهذه المرتبة ما ذكره السيوطي (٩١١هـ) في الدر المنثور [١] أنه يستحب إذا قرأ الرجل هذه الآية: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧﴾ [٢] يرفع بها صوته.

ولا بد لمن رتل القرآن أن يأخذ بها، إذ أدنى ارتفاع على المرتبة المعتادة هو من هذه المرتبة، وهي على درجات ثلاث، وقد اجتمعت في «ما» حيث يرتفع الصوت عند «ما» الاستفهامية، وأعلى منه بدرجة عند «ما» التعجبية، وأعلى منهما بدرجة أيضاً «ما» النافية، وقد لخصها الجعبري في عقود الجُمان بقوله:

فارفعن الصوت في	نفي الثلاث وقد أتى وسطان
ما للتعجب ثم الاستفهام	والباقي على سنن التلاوة غان
هذا من إعراب القرآن فلا ترم	سندا ورفع الصوت للفرقان [٣]

وقوله رحمه الله: «لا ترم سنداً ...» يشير إلى أن هذا من قبيل الدراية، وأن الإخلال به ليس في قوة الإخلال بالقراءات الثابتة بالرواية، وفي نحو هذا السياق يقول الحافظ أبو العلاء (ت ٥٦٩هـ): «واعلم أن جميع ما قصصناه في هذا الكتاب هو شيء ذكره أهل الأداء والمعاني، ولم يجيء مجي القراءات وعدد الآي والوقوف والابتداء، وهو على ذلك لا يعرف أكثره حق معرفته بالقول والصفة، بل يوقف عليه بالرواية

---

(١) ٥٠٦/٣، ولمزيد من الآثار في ذلك يراجع فضائل القرآن لأبي عبيد ٣٢٠/١، ٣٢٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٧.
(٣) عقود الجمان (١١/مخطوط).

والمشاهدة، إذ ليس الخبر كالمعاينة» [1] .

وتلك الدرجات الثلاث من الرتبة المرتفعة تتبع المعاني، فكما أن هناك فرقاً بين «ما» فكذلك هناك فرق في بعض الكلمات، مثل «كيف» حيث من معانيها الاستفهام عن الحال نحو قوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [2] وقد تأتي بمعنى التعجب، نحو قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ [3] ، وقد تأتي بمعنى النفي كقوله تعالى:

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [4] .

وهي من حيث الدرجات الصوتية مثل «ما» فأعلاها النافية وأدنى منها التعجبية وأدنى منهما الاستفهامية، وإن كانت كلها في المرتبة المرتفعة [5] .

وثمة فرق بين الطلب والأمر والتهديد، وكذلك تتفاوت الدرجات من حيث الإثبات والنهي والنفي، والتقرير والتأكيد .. إلخ، وليست هذه الدرجات أو تلك المراتب بقانون ملزم لا يجوز الخروج عنه، بل من الصعوبة بمكان تحديد موضع ارتفاع الصوت في جزء محدد من كل كلمة

---

(١) انظر الهادي في معرفة المقاطع والمبادئ (مخطوط)، الكتاب الخامس، الباب الثاني (نسخة غير مرقمة)، وما حقق في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في رسالة الدكتوراة ١٤١١هـ، إنما هو جزء من هذا الكتاب الكبير، ولم يتنبه لذلك المحقق.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.

(٥) انظر وقوف القرآن وماءاته وأجزاؤه وتقسيماته (٩/أ).

في القرآن بقاعدة مطردة، وذلك من مزايا اللغة العربية التي نزل بها القرآن، حيث تعطي القارئ مساحة أوسع لإبراز المعنى، وحرية أرحب ليعمل الذوق والحسن القرآني في إطارين محكمين من الرواية والدراية.

ولا تنحصر الدلالات التصويرية على مراتب الصوت فحسب، بل كل الظواهر الأدائية من وقف ومد وغيرها كلها تقرب الصورة المعنوية الحقيقية لكل كلمة إذا أديت على الوجه الذي نقل إلينا عن أئمة القراءة أولي الرواية والدراية في حال الحضور والاستعداد النفسي، وذلك ما سيُتناول بالدراسة في مبحث ظواهر الأداء وآثاره المعنوية، بيد أنه لا بد هنا من التنويه بعاملٍ آخر يهتم به العلماء في الجانب التصويري لدلالة الكلمة والآية القرآنية، وهو التخليص [(١)] وربما عبروا عنه بـ«فك الحروف» [(٢)] ، والمقصود به استيفاء الحركات والحروف والكلمات حقوقها مخرجاً وصفة وتمييز مقاطعها، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴾ [(٣)] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ [(٤)] ، حيث يتعين تخليص «ساء» من «لهم حتى تكون من السوء، بينما لو لم يخلصها القارئ لأوهم أنها من المساءلة [(٥)] ، فإن ضعف التحرز في

---

(١) انظر هذا المصطلح في التحديد في الإتقان والتجويد للداني، ص٨٠.
(٢) انظر هذا المصطلح في شرح القصيدة الخاقانية، ص٢٤٢.
(٣) سورة طه، الآية: ١٠١.
(٤) سورة الكوثر، الآية: ١.
(٥) انظر الموجز في تراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم د. محمد الطناحي، ص١٥، والتنغيم في التراث العربي د. عليان الحازمي، ص٧.

التخليص يفضي إلى تحور الكلمة إلى «ساءل» لانقطاع اللام عن «لهم» وانضمامها إلى الفعل «ساء» وحينئذ يتغير المعنى من السوء إلى المساءلة فتكون «ساء لهم» كـ«بايعهم» «وقاتلهم»، وكذلك يتعين تخليص كاف «أعطيناك» من الكاف التي تليها لئلا تقرأ هكذا «أعطيناك كالكوثر» [1] .

وأكثر المتصدرين من أساطين القراء يعنون بهذا الجانب في حال التلقي والإقراء إلى وقتنا الحاضر، ويشهد لذلك ما جاء في الأحاديث الثابتة في وصف قراءة الرسول × بأنها كانت «مفسرة حرفاً حرفاً» [2] .

ولا يزال مشايخ القراء يهتمون في الإقراء بالتخليص على النحو الذي مرّ آنفاً، ومن ذلك عنايتهم بالنطق الصحيح للكلمات القرآنية على الوجه الذي تلقوها من أشياخهم خالصة دون شائبة، بريئة من اللحن الخفي، جزلة اللفظ، ظاهرة المعنى، وذلك مثل كلمة: ﴿فَقَعُواْ﴾ [3] و ﴿فَقَسَتْ﴾ [4] فإنها إذا لم تحرر في الأداء ربما أوهمت أن الفاء أصلية من الكلمتين، فأوهمت أنها من «الفقع» و«الفقس»، لا من الوقوع والقسوة،

---

(١) انظر جهد المقلّ لساجقلي زاده، ص٣١٠.

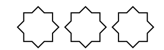
(٢) أخرجه غير واحد من أصحاب فضائل القرآن كأبي عبيد ٣٢٥/١ رقم الحديث (٢٠٩) والفريابي، ص٢٠٥ رقم الحديث (٢٠٥)، والترمذي ص٦٥٧، رقم الحديث (٢٩٢٣)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب ..» وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٠٩/١، وقال: «صحح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وأقره الذهبي، وانظر مرويات هذا الحديث بالتفصيل في شرح القصيدة لأبي مزاحم الخاقاني، ص٩٥ والتمهيد في معرفة التجويد، ص١٨٠.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٩، وسورة ص، الآية: ٧٢.

(٤) سورة الحديد، الآية: ١٦.

***

وغير ذلك من الأمثلة التي لا يمكن أن تظهر للقارئ إلا عن طريق المشافهة والتلقي.



المبحث الثاني:
الإثارة الوجدانية

أودع الله – جل جلاله – النفس الإنسانية قوى متعددة، وتعدّ قوة الوجدان واحدة من أبرزها، وهي جملة الظواهر الانفعالية والعاطفية، كالخشية والحب والطمأنينة والاستبشار والحزن والشوق، والتي منشؤها التفكر الذي يثير صوراً من الماضي أو الحاضر أو المستقبل ويجسد فيها ألواناً من اللذة والألم(١).

وإذا كان من وظائف اللغة التعبير عما في النفس ونقل الأحاسيس والعواطف وغيرها فإن الأداء القرآني هو أصدق بيان وأوفاه إذا جاء على النحو المتلقى من أئمة الأداء وأفواه المجودين وحذاقهم، ولهذا امتاز ذلكم الأداء بالروعة التي تلحق قلوب سامعيه (٢) .

وقد ذكر الله تعالى صوراً من التأثر الوجداني التي جاشت لسماع القرآن حين لامس شغاف قلوبها وتحركت مشاعرها وفاضت مدامعها، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ ﴾ (٣) ، ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ

---

(١) انظر المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية، ص٦٦٠، والنبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز، ص١١٣.
(٢) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقضاي عياض ٣٨٤/١.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ (١) ، «قال عبدالله بن عروة بن الزبير: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب الرسول × إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله» (٢) .

كما تمثلت تلك الصور في شخص الرسول × في أكمل أحوالها وأبلغ معانيها، وما بكاؤه – عليه الصلاة والسلام – وهو يستمع إلى قراءة ابن مسعود (ت ٣٢هـ) – رضي الله عنه – إلا من ذلك القبيل، فعنه – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ×: «**اقرأ عليّ**»، قال: قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**إني أشتهي أن أسمعه من غيري**»، قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾(٣). قال لي: «**كُفَّ**» أو أمسك، فرأيت عيناه تذرفان» (٤) . والله أعلم بالحالة التي استغرقت قلبه × لما استمع إلى قراءة أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – حتى قال ×: «**لو رأيتني وأنا استمع إلى قراءتك البارحة**»(٥)، قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): «...... وعلى هذا المعنى تحمل هذه الأحاديث التي ذكرناها في حسن الصوت، إنما هو طريق الحزن والخوف والتشويق، يبين ذلك حديث أبي

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.
(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة، ص٢٠٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ٤١.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه «كتاب فضائل القرآن»، ص٩٠٥، رقم الحديث (٥٠٥٥)، واللفظ له، وأخرجه مسلم «كتاب صلاة المسافرين وقصرها»، باب فضل استماع القرآن، ص٣٢٣، رقم الحديث: (١٨٦٧).
(٥) خرجه مسلم في «كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به»، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ص٣٢١، رقم الحديث: (١٨٥٢).

موسى أن أزواج النبي استمعن قراءته فأخبر بذلك فقال: لو علمت لشوقت تشويقاً أو حبرت تحبيرا» [١] .

وقال محمد بن حسين الآجرّي (ت ٣٦٠هـ): «فأحب لمن قرأ القرآن أن يتحزّن عند قراءته ويتباكى ويخشع قلبه، ويتذكر في الوعد والوعيد، ليستجلب ذلك الحزن» [٢] .

ومما سبق يتبين أن الإثارة الوجدانية غاية مطلوبة ومحمودة في أداء القرآن الكريم، ثم إن التلاوة إذا عريت منها ضعف وقعها على السامع، وأمست آلية خاوية من النبض الروحي، والقرآن روح، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ ﴾ [٣] والروح يحتاج إلى روح يترجمه لا آلة تقدمه.

إن القرآن الكريم قد حوى ألواناً شتى من المعاني الوجدانية، فكم تضمن من معاني الهيبة والإجلال والتعظيم والاستبشار والتخويف والتهييج والتشويق والاسترحام والاستعطاف والحث والتحريض والتودّد والترجي والتلطف والتعجب والاستنكار والتوبيخ والتندم والتلهف والعزة والإباء وغير ذلك مما يصعب حصره، وليس من فقه الأداء أن تتلى تلك المعاني جميعاً على نمط واحد، فما يناسب الاستبشار والسرور لا يناسب التخويف والترهيب، وهكذا يقال في كل غرض من تلك المعاني.

(١) فضائل القرآن ومعلمه وآدابه، ص٣٣٣.
(٢) أخلاق حملة القرآن، ص٧٩.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

***

والله تعالى قد يسر لنا أساليب فهم القرآن الكريم بما تكفل به من حفظه ورسمه وبيان معانيه، وحسن أدائه واحد من السبل التي تناسب الوجدان وتبعث الحياة في القلوب بما تثيره من معاني العظمة والجلال ومشاعر المحبة والرجاء، وتكبح النفس عن النوازع الخبيثة بما تلهبها به من سياط الوعظ والتخويف.

وما أروع القارئ وأفقهه حين يحاكي أسلوب القرآن في أدائه، «فإن كان سياق الكلام ترجية بسط وإن كان تخويفاً قبض، وإن كان وعداً أبهج، وإن كان وعيداً أزعج، وإن كان دعوة حدب [١] ، وإن كان زجرة أرعب، وإن كان موعظة أقلق، وإن كان تغريباً شوق» [٢] .

ويصف برهان الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) حال الراسخ في العلم من قراء كتاب الله تعالى فيقول: «وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتشديد، فهذا القارئ أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وفي مثل هذا قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ ﴾ [٣] ، وهذا هو الراسخ في العلم جعلنا الله من هذا الصنف» [٤].

إن تأثر القلب وتفاعله مع التلاوة من المقاصد المهمة في قراءة القرآن الكريم؛ لأنه ملك الأعضاء، فما أجدر التالي لكتاب الله تعالى بروم

(١) «حدب فلان على فلان يحدب حدباً فهو حدب، وتحدب، تعطف وحنا عليه» اللسان لابن منظور، كتاب الباء، فصل الحاء ٣٠١/١.
(٢) البرهان في علوم القرآن ٤/١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢١.
(٤) البرهان في علوم القرآن ١٨١/٢.

هذا المقصد وتفقده عند كل تلاوة، والعناية به من خلال ما منحه الله تعالى من المعاني الروحية، والقدرات الصوتية التي هي لسان الانفعال الصوتي ليهز المشاعر، ويثير الشجا، ويجدد النشاط، ويهيج النفوس للإقبال على كتاب الله تعالى وفهم معانيه والعمل بها، ولا جرم أن الأداء هو الأداة المؤثرة في القلوب، وذلك بأن يتأثر القلب بآثار مختلفة بحسب اختلاف مقاصد الآيات، فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والاستبشار والرجاء، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة، فعند الوعيد يتضاءل من خيفته ويستعيذ من عذاب الله، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر ويسأل الله من فضله، وعند ذكره الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته، وعند ذكر الكفار وجعْلهم لله سبحانه ولدا وصاحبة يغض صوته ويكسر في باطنه قبح مقالتهم، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقاً إليها [(١)] ، ذلك هو المنهج السديد في تلاوة القرآن الذي يأسر القلوب ويأخذ بالألباب ويلهب المشاعر ويهيج الأحاسيس ابتغاء مرضاة الله، فعن جبير بن مطعم (ت ٥٧هـ) – رضي الله عنه – قال: سمعت النبي × يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [(٢)] كاد قلبي أن يطير» [(٣)] .

---

(١) انظر إحياء علوم الدين للغزالي ١٨٥/١.

(٢) سورة الطور، الآيات: ٣٥-٣٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه «كتاب التفسير»، «سورة الطور»، ص٨٥٩، رقم الحديث (٤٨٥٤)، ورواه ابن عبدالبر في التمهيد ١٤٩/٩ بلفظ: فسمعته يقول ويقرأ وقد خرج صوته من المسجد: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ (الطور، ٧، ٨)، قال: فكأنما صدع قلبي».

وكان أبو هريرة (ت ٥٧هـ) – رضي الله عنه – إذا قرأ سورة التكوير يحزنها شبه الرثاء [١] استحضاراً لمشاهد يوم القيامة وما يكون فيها من الأهوال العظيمة التي تستدعي لمن قرأ هذه السورة أن يحكي هذه الحالة العجيبة بالصفة التي كان يقرأ بها هذا الصحابي الجليل، بينما كان رسول الله ×: «إذا مرّ بآية رحمة دعا واستبشر، والاستبشار وجد» [٢] ، فلكل آية وسورة موضوع، ولكل موضوع أسلوبه الذي يناسبه من وجوه الأداء، وكان ابن عمر (ت ٧٣هـ) – رضي الله عنه – يصلي ويترجّح ويتمايل ويتأوه، حتى لو رآه من يجهله لقال أصيب الرجل، وذلك لذكر النار إذا مرّ بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾ ﴾ [٣] أو شبه ذلك» [٤] .

إن سلف الأمة هم القدوة المثلى التي ينبغي أن يحتذى بهم في إثارة الكوامن الوجدانية بما يليق بكتاب الله تعالى، وذلك لقوة إحساسهم بمعاني عبارات التنزيل ووضوح المشاهد لهم مجسدة في العبارات المتلوة بالصوت الصادق النابض بالأحاسيس، وذلك من خلال ما نقلوه إلينا من وجوه الأداء وأنماط التلاوة.

ويجدر التنويه هنا بما أثر عنهم من ترديد القارئ الآية مرات كثيرة، وما ذاك إلا استحضار لعظمة المتكلم تعالى وتدبر لكلامه سبحانه وتقدس

---

(١) انظر غاية النهاية لابن الجزري ٣٧٠/١.
(٢) إحياء علوم الدين للغزالي: ٢٩٧/٢.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ١٣.
(٤) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب الوجيز لأبي شامة، ص١٩٤.

[1] ، فقد ثبت أن النبي × قام بآية من القرآن يرددها حتى أصبح [2] ، كما ثبت عن غير واحد من الصحابة والتابعين أنهم فعلوا مثل ذلك [3] ، وربما كان ذلك بسبب الاستحواذ المعنوي للنفس حتى سيطر عليها وكأنه أوقف المرور إلى الآية التي بعدها للاشتغال بكثرة المعاني التي فيها فلم يستطع القارئ المتدبر في رحابها الانتقال إلى مشاهد أخرى، ويدل على ذلك ما ذكر عن بعضهم أنه قال: «إني لأفتتح السورة فيوقفني بعض ما أشاهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر» [4] ، وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها» [5] ، وعن بعض السلف أنه مكث ستة أشهر يرددها متدبراً ولا يفرغ من قراءتها [6] .

فهذه الأحاديث والآثار وما تقدم بيانه كله يدل على العناية الفائقة من لدن سلف الأمة بالغاية الوجدانية في تلاوة القرآن الكريم وحسن الاستماع إليه عملاً بقوله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [7] .

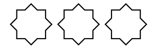
وذلك هو الوجد الحق، وهو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى، والشوق إلى لقائه، وذلك ما يهيج بسماع القرآن [8] ، وأما ما نقل من وجد الصوفية ومن حذا حذوهم من الزعيق وتعاطي أحوال المجانين والمجون بزعم

(١) انظر التغني بالقرآن للبيب السعيد، ص١٠٣.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣٠٩/٣٥، رقم الحديث: (٢١٣٨٨)، والترمذي في سننه، ص١١٩، رقم الحديث: (٤٤٨) وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه».
(٣) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد، ص٣١٤.
(٤) إحياء علوم الدين للغزالي، ٢٨٢/١.
(٥) المصدر السابق والمرشد الوجيز لأبي شامة، ص٢٠٩.
(٦) انظر المصدرين السابقين وزاد المعاد لابن القيم ٣٤٠/١.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.
(٨) انظر إحياء علوم الدين ٢٩٦/٢.

الوجد والخشوع [1] عند سماع القرآن الكريم فذلك عن المنهج الحق بمعزل، وعلماء الأداء منهم براء، ولا سيما ما يكون في المآتم التي هي بدعة ومخالفة لمنهج السلف الصالح.

بل إن تلك الأصوات المنكرة والحركات المستبشعة معدودة عند القراء من العيوب الفظيعة في النفس، وقد عد منها ابن البناء (ت ٤١٧هـ) الزحف والتنقل من جلسة إلى خلافها والجهر الصاعق وغيرها [2] .

وحقيقة الإثارة الوجدانية إنما هي نفسية، وربما ظهر شيء من آثارها الحسية على القراءة، لكن يجب أن يقيد ذلك بما ثبت عن منهج السلف في تلاوة القرآن الكريم، فذلك يكفل سلامة الأداء، ويحميه من النشاز، ومن الأمور المحدثة في التلاوة، وحيث إن تلك الغاية منشؤها من الأحاسيس الصادقة فإن جماع الإثارة الوجدانية خشوع القلب الذي أشرقت على أقطاره أنوار الهداية الربانية وتجلت له عظمة الواحد الديان، فمن وفّق لذلك فقد هدي إلى تحقيق تلك الغاية المحمودة، وكان لقراءته الأثر الطيب على نفسه وعلى الآخرين.



---

(١) انظر جمال القراء للسخاوي، ١١٠/١، والتذكار في أفضل الأذكار للقرطبي، ص١٣٢.

(٢) بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، ص٣٦.

المبحث الثالث:

الروعة الجمالية

لئن تعددت مفاهيم الجمال لدى الفلسفات الشرقية أو الغربية فإن الجمال صفة مدح وكمال، وبما أن القرآن الكريم أفضل الكتب المنزلة وأكملها إذ جعله الله مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، فالجمال متأصل فيه على أرقى صوره وأجمل أشكاله لفظاً ومعنى ظاهراً وباطناً.

ويحظى الأداء القرآني بنصيب كبير من الصور الجمالية التي تكاد تسلب العقول وتأخذ الألباب وتستحوذ على الأسماع، وتغري على اتباع ما تضمنه من الهدى والنور والبرهان المبين.

ويصف د. محمد عبدالله دراز (ت ١٣٧٧هـ) المسحة الجمالية للأداء القرآن بقوله: «فإذا اقتربت بإذنك قليلاً قليلاً، فطَرَقَتْ سمعك جواهر حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف ورصفها وترتيب أوضاعها فيما بينها: هذا ينقر وذاك يصفر، وثالث يهمس ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفس وآخر يحتبس عنده النفس، وهلم جرّاً، فترى الجمال اللغوي .. من هذه الخصوصية والتي قبلها تتألف العشرة السطحية للجمال القرآني، وليس الشأن في هذا الغلاف إلا كشأن الأصداف مما تحتويه من اللآلي النفسية، فإنه جلّت قدرته قد أجرى سنته في نظام هذا العالم أن يُغشّى جلائل أسراره بأستار لا تخلو

من متعة وجمال، ليكون ذلك من عوامل حفظها وبقائها بتنافس المتنافسون فيها وحرصهم عليها، انظر كيف جعل باعثة الغذاء ورابطة المحبة قواماً لبقاء الإنسان فرداً وجماعة، فكذلك لما سبقت كلمته أن يصون علينا نفائس العلوم التي أودعها هذا الكتاب الكريم قضت حكمته أن يختار لها صواناً يحببها إلى الناس بعذوبته، ويغريهم عليها بطلاوته، ويكون بمنزلة (الحُداء) يستحث النفوس على السير إليها، ويهون عليها وعثاء السفر في طلب كمالها، لا جرم أن اصطفى لها من هذا اللسان العربي المبين ذلك القالب العذب الجميل، ومن أجل ذلك سيبقى صوت القرآن أبدا في أفواه الناس وآذانهم ما دامت فيهم حاسة تذوق وحاسة تسمع»[(١)] .

إن غاية الروعة الجمالية للأداء القرآني ذات أهمية كبرى في مقاصد الأداء وتلبسها أجمل حللها، فتأسر الأسماع وتستحوذ على نبض القلب حسب المشاهد التي تبديها.

ولا شك أن إبراز جمال الأداء القرآني مرهون بكيفية أدائه وتوفر مقوماته وغاياته، فتلك روافد الروعة الجمالية التي يستقي منها الجانب الجمالي للقرآن الكريم عبير روحه وجزالة لفظه واستقامة معناه، بينما إذا عريت التلاوة منها أمست التلاوة أشبه بالصورة الباهتة الألوان، ومن ثم يقل الإعجاب بها ويضعف تأثيرها.

وإذا كانت لوحة الرسام لا تعتمد على الألوان فحسب، وإنما يبدو

---

(١) النبأ العظيم، ص١٠٤.

جمالها فيما ترمز إليه من المعاني والمفاهيم، فكذلك تلاوة القارئ لا تعتمد على حسن الصوت فحسب، وإنما يبدو جمالها في حسن الأداء المتقن المعبر عن المعاني، بحيث توفى فيه الحروف حقوقها ومستحقاتها مخرجاً وصفة، وتُعمّل فيه كل مقومات الأداء الإيمانية والنفسية والمعرفية والصوتية (١) .

وعنوان الغاية الجمالية وتاجها المعاني، فلا جرم الأخذ بكل ما يسهم في إبرازها يضفي على القراءة وقاراً وجلالاً ويكسوها بهاء وجمالاً، ألا ترى أن الوقف والابتداء تبوءا مكانة عالية في علم الأداء، واعتُبرا» حلية التلاوة، وتحلية الدراية وزينة القارئ (٢) ، وما ذاك إلا لأهميته البالغة في بيان المعاني والكشف عن خبيئتها (٣) .

وإذا كان لترداد الآية مدلولاتها الوجدانية فإن لتردادها أيضاً مدلولاتها الجمالية، وإلى ذلك أشار الإمام الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) بقوله:

وخير جليس لا يُمَلّ حديثه
وترداده يزداد فيه تجمّلا

قال الإمام أبو شامة في شرحه على هذا البيت: «أي يزداد القرآن بالترداد تجملاً، لما يظهر من تلاوته ونوره وحلاوته وفصاحته، أو يزداد

(١) سبق الحديث عنها فيما مضى من هذا البحث.
(٢) الكامل في القراءات الخمسين للهذلي (٨١/ب).
(٣) سيأتي في المبحث التالي – إن شاء الله – بيان وجوه الوقوف والابتداء في إبراز المعاني.

القارئ بالترداد تجملاً، لما يقتبس من فوائده وآدابه وجزيل ثوابه» [١] .

لقد عني علماء الأداء بتلك الغاية من جميع وجوهها، والتحذير من كل ما يناكدها، وقد أشار ابن البناء (ت ٤٧١هـ) – رحمه الله – إلى جمل كثيرة، ومنها قوله في آداب القارئ: «وليكن في هيئته عند جلوسه وتلاوته على أجمل ما يراه، مبايناً لما ذكرناه وأشباهه، مما لا يرضاه، فهو لحاله أفضل وفي جماله أنبل» [٢] ، وذلك منهم – يرحمهم الله – غاية في العناية بالجانب الجمالي؛ لأن في جمال هيئة القارئ دليلاً على توقير ما يؤديه من كلام رب العالمين، وذلك لون من ألوان الجمال والجلال.

ومنها قوله – رحمه الله: «أحمد الأشياء عاقبة، وأسدها ثاقبة، وأعدلها طريقة، وأجملها خليقة هو المضيء على سنن واحد يقبله الغائب والشاهد، لا تمضيغ ولا تضييع ولا تمطيط ولا تقطيع» [٣] ، وفي هذا تحذير من المبالغة في كيفيات الأداء التي تخرجه عن أصوله، وتشكّل الحجب دون متعة جماله ورونقه المحبب إلى النفوس.

وذلك يقتضي من القارئ أن ينتقل بين الحروف بلطف، ويشير إلى المعاني بشفافية، ويتدرج في الدرجات الصوتية المنبئة عن الدلالات التصويرية برفق، وبذلك يكسو تلاوته حلاوة وطلاوة ويكسبها البهجة والمتعة إلى كل من استمع إليها.

وأخبار القراء في التحذير من التكلف والتعسف كثيرة جداً، ومنها ما

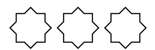
---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني، ص١٧.
(٢) بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، ص٣٧.
(٣) المصدر السابق، ص٣٩.

ذكره الحافظ أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) في سياق حديثه: «والناس يتفاضلون في النطق بالهمزة على مقدار غلظ طباعهم ورقتها، فمنهم من يلفظ بها لفظاً تستبشعه الأسماع، وتنبو عنه القلوب، ويثقل على العلماء بالقراءة، وذلك مكروه معيب من أخذ به، وقد حدثني الحسين بن علي البصري، حدثنا أحمد بن نصر، حدثنا ابن مجاهد، حدثنا محمد بن عيسى المقرئ، حدثنا محمد بن يزيد، قال سمعت أبا بكر بن عيّاش يقول: إمامنا يهمز ﴿ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ [١] . فأشتهي أن أسدّ أذني إذا سمعته يهمزها [٢] . قال الإمام مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) معلقاً على هذا الخبر: «يريد أنه كان يتعسف في اللفظ بالهمزة، ويتكلف شدة النبر فيقبح لفظه بها» [٣] .

وكان الإمام حمزة الزيات (ت ١٥٦هـ) أحد القراءة السبعة يقول: «إن لهذا التحقيق منتهى ينتهي إليه، ثم يكون قبيحاً، مثل البياض له منتهى ينتهي إليه، وإذا زاد صار برصاً ...» [٤] .

فما سبق يدل على اهتمام القراء بالجانب الجمالي للقراءة، والزجر عما يشوه الأداء القرآني، حتى ولو كان بقصد التجويد والتحقيق، إذ المقصد الأسمى من التجويد والتحقيق تزيين القراءة للإغراء على الإنصات إليها والعمل بما فيها من الهدايات.



(١) سورة البلد، الآية، ٢٠، وسورة الهمزة الآية: ٨.
(٢) التحديد في الإتقان والتجويد، ص١٢٠.
(٣) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص١٤٧.
(٤) السبعة لابن مجاهد، ص٧٦.

الفصل الثاني:
ظواهر الأداء

يحظى الأداء القرآني بثراء هيئاته وتنوعها وغنى مدلولاتها المعنوية، وتشمل ظواهر الأداء مراتب التلاوة وأساليبها، وأصول الأداء وتعدد القراءات، والوقف والابتداء، وما من وجه من تلك الوجوه إلا وله أبعاده المعنوية وأسراره الدلالية، وذلك يحتاج إلى دراسات مستفيضة وبحوث كثيرة للوقوف على الجوانب المعنوية في كل صيغة وكيفية، ولعل ما يأتي في الفقرات التالية يسهم في الإشارة إلى أسس تلك الآثار المعنوية للظواهر الأدائية.

***

المبحث الأول:
مراتب التلاوة وأساليبها

وهي أُطُر الأداء وأنماطه، وقد ذكر العلماء لها أنواعاً كثيرة، من تحقيق وترجيع وحدر وتحزين وغيرها [1] .

بيد أنها من حيث التمهل والإسراع لا تخرج عن ثلاثة وجوه، وعلى ذلك العمل إلى هذا الوقت، وهي التحقيق والتدوير والحدر، وفي ذلك يقول

---

(١) انظر المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر لأبي الكرام الشهرزوري، ١٤٨٩/٤، والتمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص١٨٧.

الحافظ ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «فإن كلام الله تعالى يقرأ بالتحقيق وبالحدر والتدوير الذي هو التوسط بين الحالتين مرتلاً مجوداً بلحون العرب وأصواتها وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة» (١) .

بل إن بعض العلماء قصرها على وجهين فقط، حيث قال الحافظ أبو العلاء (ت ٥٦٩هـ): «ومن بعد فاعلم أن هذه الأوجه التي ذكرناها تؤول إلى ضربين، أحدهما التحقيق، والآخر الحدر» (٢) ، وذلك أن القارئ إذا نزل عن التحقيق مرتبة ما وقع في التدوير، وإذا تأنى في الحدر ارتقى إلى مرتبة التدوير.

وهنا تبرز غاية أساسية من غايات الأداء القرآني، وهي الجانب الجمالي، حيث يؤكد علماء الأداء على الأخذ بمرتبة دون خلطها بغيرها، ولا سيما التحقيق والحدر، فإن الفرق بينهما ظاهر، فإذا قرأ القارئ بعض الآيات على وجه التمهل وهو التحقيق، وقرأ بعضها على وجه الإسراع وهو الحدر، جاءت تلاوته على وزن غير متعادل وترتيب غير متماثل، وذلك يتنافى والقاعدة المعتبرة عند أهل الأداء، وهي: «واللفظ في نظيره كمثله» (٣) ، فهذه القاعدة تشمل أساليب التلاوة ومراتبها، كما تشمل الحروف أيضاً.

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢٠٥/١.

(٢) التمهيد في معرفة التجويد، ص١٨٧، وافقه ابن أبي مريم الشيرازي في الموضح في وجوه القراءات وعللها ١٥٣/١.

(٣) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، ص٦٣.

وقد أشار ابن البناء (ت ٤١٧هـ) في مواضع من كتابه «بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء» إلى توجيه القارئ على المضي على سنن واحد في مراتب القراءة، ومنها قوله: «وهم على ثلاثة أضرب، فمنهم من يمضي على سنن واحد بترتيل وهو أكملها، أو يحدُر وهو أسهلها، أو أن يجمع بينهما وهو أعدلها» [١] ، ومراده بـ«الترتيل»: التحقيق [٢] ، ومراده بـ«الجمع بينهما»: التدوير، وليس معناه الخلط بين الترتيل والحدر إذ يتناقض ذلك مع ما قرره في تضاعيف كتابه، ثم إن الأذن تنفر من الكلام إذا جاء على نحو متنافر في حين أن التلاوة إذا جاءت متناسقة مالت إليها النفوس وأصغت إليها الآذان، وانشرحت لها الصدور.

وفيما يلي إشارة إلى جملة من مراتب التلاوة وأساليبها وعلاقتها بالمعاني:

التحقيق:

وهو عند علماء التجويد: «عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات وتوفية الغنات وتفكيك الحروف» [٣] ، وبعبارة أخرى: «أن يؤدّى كل

---

(١) بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، ص٤٧.
(٢) انظر الموضح للشيرازي، ١٥٤/١ والإيضاح للأندرابي (٦٧/أ).
(٣) النشر لابن الجزري ٢٠٥/١.

حرف حقه من غير أن يخرجه من حدّه أو يبخسه عن حقه» [1] .

وهو يستعمل في التعليم لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ وإقامة القراءة على وجهها [2] .

روى أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) عن سليم الكوفي (١٨٨هـ) قوله: «وقف الثوري على حمزة فقال: يا أبا عُمارة ما هذا الهمز والمد والقطع الشديد؟ فقال: يا أبا عبدالله هذه رياضة للمتعلم، قال: صدقت.

قال أبو عمرو: ولهذا المعنى الذي ذكره حمزة – رحمه الله – يُرخِّص في المبالغة في التحقيق من يرخص من الشيوخ المتقدمين والقراء السالفين لترتاض به ألسنة المبتدئين، وتتحكم فيه طباع المتعلمين، ثم يُعرَّفُون بَعْدُ حقيقته ويُوقَّفُون على المراد من كيفيته» [3] .

فالتحقيق وسيلة إلى تصحيح الألفاظ واستقامتها على النهج الأقوم، إذ لا سبيل إلى حقيقة المعنى إلا بتحقيق الألفاظ على أصولها، ولهذا جاء عن الإمام حمزة (ت ١٥٦هـ) – رحمه الله – أنه قال: «إنما أزيد على الغلام في المد ليأتي بالمعنى» [4] .

والتحقيق هو أعلى المراتب من جهة التأني والتؤده، وليس فوقه إلا التعسف والإفراط في التمطيط والمبالغة في إشباع الحركات، وذلك وأمثاله

(١) الإيضاح للأندرابي (٦٦/أ).
(٢) انظر شرح القصيدة الخاقانية للداني، ص٩٢، والنشر لابن الجزري ٢٠٥/١.
(٣) التحديد للداني، ص٩١.
(٤) الإقناع لابن الباذش ٤٧١/١ والتحديد للداني، ص٧١.

مخرج للتحقيق عن غاياته، ومفسد لرونق التلاوة وحسن الأداء، فما أبعد هذا التعسف من إبراز المعنى، وما أبلغه من صارف عن مواصلة الاستماع إلى منتحله.

***

الترتيل:

«مصدر من رتّل فلان كلامه: أتبع بعضه بعضاً على مُكْث وتُؤدة، والاسم منه الرَّتَل، والعرب تقول ثَغر رتل إذا كان متفرقاً» [1] .

وهو قدْر زائد على التحقيق، ولهذا قال العلماء: «كل تحقيق ترتيل، وليس كل ترتيل تحقيقاً» [2] ، حيث يشتركان في التأني والتؤدة، ويزيد الترتيل بالعناية بالتدبر والتفكر والاستنباط [3]، إذ الغاية من التؤدة في الترتيل بيان المعاني، قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [4] ، «معناه: بيِّنه تبييناً» [5] ، وقال تعالى: ﴿ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [6] ، معناه التبيين والتفسير [7] ، وقال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [8]، قال الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره: «يقول: لتقرأه على الناس على تؤده، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك» [9] ، ثم قال الإمام الطبري: «قال ابن زيد في قوله: ﴿ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ ، قال التفسير، الذي قال الله: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ : تفسيره.

---

(١) التحديد للداني، ص٧١.
(٢) النشر في القراءات العشر، ٢٠٩/١.
(٣) انظر شرح القصيدة الخاقانية للداني، ص٩٢، والمصدر السابق.
(٤) سورة المزمل، الآية: ٤.
(٥) التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص٥٣.
(٦) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.
(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١٨/٦.
(٨) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.
(٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٧٩/١٦.

ولا شك أن المقصود بالتفسير في معنى هذه الآيات التفسير الأدائي، المتمثل في التأني في القراءة المفصحة عن المعنى، وليس المقصود التفسير المعروف وهو شرح الآيات وبيان المراد منها.

وقد جاء التفسير الأدائي في تلاوة الرسول × في أحاديث كثيرة، منها ما رُوي أن رسول الله × كان يفسر ويرتل إذا قرأ [1] ، ويشهد لهذه الرواية ويوضحها ما جاء في وصف قراءة الرسول × بأنها كانت مفسرة حرفاً حرفاً[2] .

فالترتيل هو أفضل المراتب حيث جاء في التنزيل وحُفظ عن رسول الله ×، وهو الذي تتمثل فيه كل غايات الأداء في أكمل صورها، قال برهان الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ): «فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم، وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكر في معنى ما يلفظ به لسانه، فيعرف من كل آية معناها» [3] .

«واستحباب الترتيل للتدبر، ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوفير وأشد تأثيراً في القلب» [4] .

وبذلك يتضح أن مفهوم الترتيل هو أوثق المراتب بالمعنى وأن إبراز المعاني فيه بمنزلة الروح من الجسد.

---

(١) شرح القصيدة الخاقانية للداني، ص٩٥.
(٢) سبق تخريجه فيما سبق عند آخر الدلالات التصويرية.
(٣) البرهان في علوم القرآن، ٤٥٠/١.
(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ٣٥٥/٢.

ولقد استحبه العلماء حتى للأعجمي الذي لا يفهم معناه [1] ، وذلك أن الترتيل تتجاوب معه المعاني القريبة والبعيدة، ومنها معاني الوجدان والجمال التي امتاز بها أداء القرآن لتشمل الأعجمي والعربي، فلا جرم أن القرآن الكريم إذا رتل حق ترتيله عم تأثيره على كل من سمعه.

الترجيع:

وهو تقارب ضروب الحركات في الصوت، نحو آ آ آ، وهو نوع من التغني الجائز، وهو نوع من الترتيل، إلا أنه يزيد عليه بهذا القدر من التغني، وحمله بعض العلماء على تكرار الآية أو بعضها [2].

وقد وردت بذلك الأحاديث عن رسول الله × ومنها ما جاء عن «شعبة، عن معاوية بن قُرّة المُزني عن عبدالله بن المغفَّل المُزني، قال: رأيت رسول الله × يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح، أو من سورة الفتح، قال فرجّع فيها، قال: ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابن مغفّل، وقال لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكي النبي ×، فقلت لمعاوية كيف كان ترجيعه قال: آ آ آ ثلاث مرات» [3]، وورد عن أم

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢٠٢/٢، وجمال القراء للسخاوي، ٥٢٦/٢. وفتح الباري لابن حجر ١١١/١٩.

(٣) أخرجه البخاري بهذا اللفظ في صحيحه، في كتاب التوحيد، باب ذكر النبي × وروايته عن ربه، ص١٣٠١، رقم الحديث: (٧٥٤٠) ورواه مسلم بنحوه في صحيحه، باب كيف قراءة النبي × سورة الفتح يوم فتح مكة، ص٣٢١، رقم الحديث: (١٨٥٣). وقيل إن الترجيع منه × يوم الفتح كان بسبب هزّ الراحلة، وقد أباه المحققون، فقال ابن القيم (ت ٧٥١هـ) في زاد المعاد ٤٨٣/١ بعد ذكرها هذا الحديث: «وإذا جمعت هذه الأحاديث إلى قوله: (زينوا القرآن بأصواتكم) وقوله: (ليس منا من

***

هانئ – رضي الله عنها – بنت عم الرسول × بإسناد صحيح أنها قالت: «كنت أسمع صوت النبي × وهو يقرأ – وأنا نائمة على فراشي – يرجع القرآن»[1].

وقد أبان الشيخ محمد أبو زهرة عن المعاني التي تضمنها الترجيع في قوله – رحمه الله: «فهذه الآثار كلها تدل على أنه – عليه السلام – أباح التغني بالقرآن، وأباح ترجيع الكلمات مترنماً بمعانيها مردداً لها بترديد ألفاظها، كما يفعل الأديب عند ترديد بيت من الشعر أدرك معناه واستطابه، فردده استحساناً له، ولجودة التعبير وسلامته، وكما فعل – عليه السلام – عند ترجيعه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾[2]، فإن ترديد ذلك في عام الفتح إنما هو من شكر المنعم به، وهو استذكار للانتقال من الضعف إلى القوة، ومن الفتنة في الدين إلى جعل الكلمة العليا لدين رب العالمين.

وإذا كان الترجيع ليس إلا ترديداً للمعنى وتذوقاً له وإستطابةً

لم يتغن بالقرآن) وقوله: (ما أذن الله لشيء كأنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن)، علمت أن هذا لو كان لأجل هزّ الناقة لما كان داخلاً تحت الاختيار، فلم يكن عبدالله بن مغفل يحكيه ويفعله اختياراً ليتأسّى به، وهو يرى هز الراحلة له حتى ينقطع صوته، ثم يقول كان يرجع في قراءته، فنسب الترجيع إلى فعله، ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعاً».

(١) أخرجه غير واحد بألفاظ متقاربة، ومنهم أبو عُبيد في فضائل القرآن، ص٣٤٢، رقم الحديث (٢٥٤)، وأحمد في مسنده ٤٧٥/٤٤، رقم الحديث: (١٣٤٩)، وأبو العلاء الهمداني في التمهيد في معرفة التجويد، ص١٧٠، وذكره ابن حجر في فتح الباري ١١١/١٩.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١.

واعتباراً به، فكذا يكون التغني الذي استحسنه النبي ×؛ إذ أن العرب الذين كانوا يقرؤون القرآن كانوا على علم بأساليب البيان، ومعاني الفرقان، فكانوا يترنمون بالألفاظ ترجيعاً لمعناها، وتذوقاً لجمالها، واستحساناً لأسلوبها.

وعلى ذلك يكون تحسين القراءة بالصوت الجميل الغرض منه أن يسهل على السامع فهم المعنى وتذوقه، وإدراك جمال الأسلوب، وجمال الألفاظ» [١].

ولقد شدّد العلماء فيما يتعلق بترجيع القرآن الكريم والتغني به، ووضعوا لذلك معايير دقيقة، وهي عدم الخروج عن حدود التجويد، وأن لا يكون التغني لمجرد النغم من غير نظر إلى المعاني [٢] ، وأن لا يكون مشابهاً لترجيع الغناء المنافي للخشوع الذي هو مقصود التلاوة [٣] ، ولهذا نصّ العلماء – رحمهم الله – على منع القراءة بالترعيد والترقيص والترطيب، أما الترعيد في القراءة فهو أن يأتي بالصوت إذا قرأ مضرباً كأنه يرتعد من برد أو ألم، وأما الترقيص فهو أن يروم السكوت على الساكن ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو وهرولة، وأما التطريب فهو أن يتنغم بالقراءة ويترنم بحيث يزيد في المد في موضع المد وغيره [٤] .

---

(١) مقال التغني بالقرآن الكريم في مجلة كنوز الفرقان، العدد الثامن، ص١٩.
(٢) انظر لطائف الإشارات للقسطلاني، ٢١٦/١، والمرجع السابق، ص٢٠.
(٣) انظر فتح الباري لابن حجر ١١١/١٩.
(٤) انظر الإقناع لابن الباذش ٥٥٦/١، والمصباح الزاهر للشهرزوري، ١٤٩٩/٤.

واختُلف في القراءة بالألحان، وقد سبق الحديث عنها في المقومات الصوتية بما يغني عن إعادة ذكرها هاهنا.

التحزين:

هو أن يترك القارئ طباعه وعادته في التلاوة، فيأتي بالتلاوة على وجه آخر يخفض النغمة كأنه حزين، وهذا منعه العلماء، لما فيه من الرياء، ومشابهة النوح، وضعف الحروف [١] .

وأما ما سلم من ذلك فقد أجازه العلماء، كالإمام أحمد بن حنبل [٢] (٢٤١هـ)، بل استحبه كثير منهم، فقد قال الآجري (ت ٣٦٠هـ): «فأحب لمن قرأ القرآن أن يتحزّن عند قراءته ويتباكى، ويخشع قلبه، ويتذكر في الوعد والوعيد، ليستجلب بذلك الحزن» [٣] ، ونقل ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ) عن عبدالله بن حبيب (ت ٢٣٨هـ): فيما نقله عن مطرّف بن عبدالله (ت ٢٢٠هـ) وابن الماجشون (ت ٢١٢هـ) عن الإمام مالك (ت ١٧٩هـ): «ولا بأس أن يحزّن القارئ قراءته من غير تطريب ولا ترجيع يشبه الغناء في مقاطعه ومكاسره، أو تحزيناً فاحشاً يشبه النوح، أو يميت به حروفه فلا خير في ذلك، وأما ما سهل منه فذلك مستحسن من ذوي الصوت الحسن» [٤] .

---

(١) انظر المصدرين السابقين.
(٢) انظر زاد المعاد لابن القيم ٤٨٥/١.
(٣) أخلاق حملة القرآن، ص٧٩.
(٤) الإقناع لابن الباذش ٥٥٩/١.

والتحزين كالتحقيق والترجيع والحدر إذا زاد عن حدّه انقلب إلى ضده، فكما أن التحقيق إذا بولغ فيه صار تشدّقاً ممجوجاً من الآذان، والترجيع إذا أطلق له العنان صار أشبه بالغناء المنافي لقدسية القرآن، والحدر – كما سيأتي – إذا لم يراع فيه حسن الأداء صار هذا، فكذلك التحزين إذا أتى على وجه متماوت صار مذموماً، بينما إذا أتى وفق قواعد التلاوة فأنعم به.

لكن لا بد من التنويه بالمعاني في كل أسلوب بحيث يأخذ كل معنى ما يوافقه من تلك الأساليب، فلا جرم أن القراءة إذا جاءت كلها على وجه التحزين لم توّف المعاني حقها كما ينبغي.

التدوير:

وهو التوسط بين رتبتي التحقيق والحدر، واختاره كثير من القراء [١]

.

وصلته بالمعاني من حيث الجانب الجمالي فيه؛ لأنه يأتي على سنن واحد ومتتابع لا تمله الأسماع، والقارئ به مكتنف بين رتبتين، فهو في حرز من التمطيط المفضي إلى السآمة أو العجلة المفسدة للمباني والمعاني، وفي مكنة القارئ المتدبر إعمال المعاني فيه وإبرازها من خلاله.

الحــدر:

(١) انظر النشر لابن الجزري ٢٠٧/١ ولطائف الإشارات للقسطلاني ٢١٩/١.

«أصله الحط، وكل ما حَطَطته من علو إلى سُفل فقد حدرته» [١] .
وهو أن يقرأ القارئ قراءة سهلة سريعة خفيفة من غير أن يخل بأحكام التجويد وقواعد الرواية [٢] .

وهو لون متميز من ألوان الأداء يتسم بالسماحة وعذوبة الألفاظ ولطافة المعنى [٣] ، ولا سيما إذا أداه مجود ذو صوت حسن فإنه يرهف الآذان، ويملأ الوجدان وتحيي به القلوب، كما الغيث إذا تتابع نزوله وانهمر قطره.

أما إذا ضُمِّخ الحدر بشيء من الترجيع والتحزين بما يناسب المعاني فناهيك عن حسنه وروعة جماله وأثره على المشاعر والأحاسيس.

والحدر مرتبة سهلة سمحة، لكن لا يتقنها إلا المهرة، فقد قيل لابن مجاهد: «من أقرأ الناس؟ قال: من حقق في حدر» [٤] ، يريد من إذا حدر لم يخل بتجويد الحروف، وقال ابن أبي مريم الشيرازي (ت بعد ٥٦٥هـ): «ومن لم يمكنه حسن الأداء بالحدر فلا ينبغي أن يقرأ إلا بالترتيل» [٥] ، ذلك أن الحدر مظنة إخلال بحسن الأداء، فلهذا وكد العلماء على من أخذ به أن يراعي سلامة الأداء وصحة الحروف، وحذّروا من الإخلال بها، وفيما يلي جملة من نصوصهم في ذلك:

قال الخاقاني: (ت ٣٢٥هـ):

---

(١) التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص١٨٥.
(٢) انظر الإيضاح للأندرابي (٦٧/أ) والنشر لابن الجزري ٢٠٧/٢.
(٣) انظر الإقناع لابن الباذش ٥٥٩/١.
(٤) التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص١٨٩.
(٥) الموضح في وجوه القراءات وعللها ١٥٤/١.

***

وذو الحـــــذق معـــــط للحـــــروف حقوقهـــــا
إذا رتـــــل القـــــرآن أو كـــــان ذا حـــــدر

قال الداني (٤٤٤هـ) في شرح هذا البيت: «إذا كان القارئ بصيرا بالقراءة حاذقاً في علم الأصول، عالماً بالجلي والخفي منها، كثير الرياضة للسانه، مع مداومته للدرس، واستعمال اللفظ بالحروف حتى يخرجها من مواضعها، ويوفيها حظها الواجب لها، فهو غاية في إتقان القراءة، ونهاية في تجويد التلاوة، فإذا حدر قراءته ولم يرتلها أتى في حدره بما كان يأتي به في ترتيله، من تمكين الحروف، وإخراجها على صفتها، واللفظ بها على حقائقها، وذلك كالألف والواو والياء اللائي ربما سقطن من لفظ القارئ عند الإسراع، واستعمال الحدر لخفائهن.

وكذلك يفعل بسائر الحروف، يوفي كل حرف منها حقه ويخرجه من موضعه، ويلخصه [(١)] من شبيهه، ويفرق بينه وبين نظيره.

فإن كان همزة حققها من غير لكز لها ولا تليين يضعف الصوت بها، بل يخرجها سهلة سلسلة من غير كلفه .. وكذلك سائر حروف المعجم يأتي بها على هيئتها ويلفظ بها على صفتها، فأما من لم تتحقق روايته ولا استكملت معرفته فقل ما يأتي ببعض ما ذكرناه على ما وصفناه في حال التحقيق، فضلاً عن الحدر الذي لا يتقنه إلا مخصوص ولا يضبطه إلا

---

(١) كذا في النسخة المحققة، والأظهر: ويخلصه. ينظر في هذا البحث الدلالات التصويرية.

حاذق» [1] .

وقال ابن البناء (٤٧١هـ): «وليحذر أن يفسد بإسراعه الحروف المأخوذ عليه رعايتها، فليس الحدر يوجب ترك ممدود ولا منون مظهر ولا مدغم، ولا مخفى» [2] .

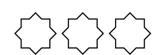
وقد صح عن غير واحد من أصحاب الرسول × النهي عن هذا القرآن، وهذا الإسراع المفرط المضر بحروف القرآن الكريم، ففي الصحيحين عن ابن مسعود (٣٢هـ) – رضي الله عنه – أنه أنكره، فقال: «هكذا كهذّ الشعر» [3]؟

وعن أبي الدرداء (ت ٣٢هـ) – رضي الله عنه – قال: «إياكم والهذاذين الذين يهذون القرآن ويسرعون بقراءته، فإنما مثل ذلك كمثل الأكمة [4] التي لا أمسكت ماء ولا أنبتت كلأ» [5] .

وإذا كانت مراعاة المعنى جزءاً لا يتجزأ من التجويد [6] ، فمقتضاه أن الحدر ليس خلوا من المعاني، فالحاصل أن للحدر حظه من التجويد والمعاني، والإخلال بهما أو بأحدهما إخلال بهذه المرتبة أو بكمالها، وليس

(١) شرح القصيدة الخاقانية للداني، ص٧٨.
(٢) بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، ص٤٢.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة، رقم الحديث (٥٠٤٣)، ومسلم في صحيحه، باب «ترتيل القراءة ..»، ص٣٣١، رقم الحديث: (١٩٠٨).
(٤) الأكمة: تل من القُفّ، وهو حجر واحد. انظر لسان العرب لابن منظور، كتاب الميم، باب الهمزة: ٢٠/١٢.
(٥) المرشد الوجيز لأبي شامة، ص٢٠٨.
(٦) يراجع ما يختص بخصائص الأداء القرآني في هذا البحث – التجويد.

ذلك في هذه المرتبة فحسب، بل في جميع المراتب، ولهذا قال أبو معشر الطبري (٤٧٨هـ) بعد أن ذكر جملة من مراتب التلاوة وأساليبها: «وإنما تحمد الضروب كلها إذا صحبهن التجويد والتبيين والتحسين» [١] ، ولا شك أن التبيين والتحسين من غايات المعاني السالف ذكرها.



(١) التلخيص في القراءات الثمان، ص١٢٣.

***

المبحث الثاني:

أصول الأداء وتعدد القراءات

تشكّل أصول الأداء – وهي التي عليها مدار أحكام القراءة – ظواهر ثرّية من المعاني الدلالية والجمالية والوجدانية، كما يعد تنوع القراءات وتعدد صيغها روافد غنية بتلك المعاني.

وحسن الأداء ومعاني القرآن شيئاً لا ينفصلان، أو ليس عدم التفريق في التلاوة بين الخبر والاستفهام والنفي والإثبات ونحو ذلك يحتسب عند حذاق أهل الأداء من اللحن الخفي [(١)] ، وكذلك الزيادة أو التطفيف في موازين الحروف يؤديان إلى الإخلال بالمعاني المرادة، ولله در الإمام الشاطبي حيث قال:

وهــــاك مــــوازين الحـــروف ومـــا حكـــى
جهابـــذة النقـــاد فيهـــا محصـــلا
ولا ريبـــة فـــي عيـــنهن ولا ربـــا
وعنــد صــليل الزيــف يصــدق الابــتلا
ولا بـــد فـــي تعيـــنهن مـــن الأُولـــى
عُنـــوا بالمعـــاني عـــاملين وقـــوّلا [(٢)]

أما وجوه القراءات فإن بعضها يبين معنى بعض، أو يثير معنى غيره لا يضاده، فلا ريب أن تعدد القراءات مكثر للمعاني، وذلك من وجوه

---

(١) انظر الكامل في القراءات الخمسين للهذلي (٢٤/أ) والتمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص٢٣٧ والموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم الشيرازي ١٥٩/١.

(٢) حرز الأماني ووجه التهاني (الشاطبية)، ص٩٣.

إعجاز القرآن [١] ، «ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ بـه قـارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى» [٢] .

وإذا تقرر في مقدمة ظواهر الأداء أن استقراءها وتتبعها يحتـاج إلـى دراسات مستفيضة فحسب هذا البحث الإشـارة إلـى نمـاذج معدودة ممـا هو بصدده، وذلك من خلال ما يلي:

المـد:

تتصـرف مـدّات القـرآن علـى وجـوه شـتى، ويتفاضـل بعضـها علـى بعض طولاً وقصراً، وذلك على قدر مذاهب القراء واختلاف الـرواة عنهم في اللفظ والأداء [٣] .

ولذلك تعدّ ظاهرة المد من أغنى أصول الأداء فـي صيغها ومعانيها. وإنمـا ثبـت المـد فـي الألـف واليـاء والـواو لخفائهـا، فمقصـد القـراء بيانهـا وتمكينها [٤] .

ووجوه البيان في حروف المد متعددة، فهي لا تنحصـر فـي الجانـب اللفظـي فحسـب، بـل لهـا غاياتهـا الأدائيـة الأخـرى التـي جـاء بهـا اللسـان العربـي المبين، حيث قـال أبـو العبـاس المهـدوي (ت ٤٤٠هـ): «والعـرب إنما تستعمل المد عند التطريب وتعظيم الأمور بـالوعظ والتهديد ومـا أشبه

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٥٢/١، والتحرير والتنوير للطـاهر بـن عاشور ٥٥/١.
(٢) لطائف الإشارات للقسطلاني، ١٧١/١.
(٣) انظر المصباح الزاهر لأبي الكرم الشهرزوري ١٤٤١/٤.
(٤) انظر شرح الهداية للمهدوي ٣٠/١، والمصدر السابق، ١٤٤٥/١.

ذلك» [١] ، وذلك يفسر ما كان يستعمله الرسول × في قراءته، فعن قتادة قال: «سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي × فقال: كان يمدها مداً» [٢] ، حيث كان يتغنى الرسول × بأشرف الكلام المشتمل على عظائم الأمور في جميع سورة وآياته.

والمدّ له سمته البارزة في التغني بالقرآن الكريم التي تضفي على القراءة طلاوة وحلاوة، وقد عد بعض العلماء السبب في كثرة وقوعه في ختم الآيات وجود التمكن من التغني [٣] ، ذلك أن المدود تعطي القارئ مساحة أكبر للتغني لما فيها من امتداد في الصوت، وقابلية للترنم.

إن تنوع المدود في القرآن الكريم يعد ظاهرة جمالية عجيبة الشأن وذلك فيما تبديه من صورتين متقابلتين، أما الصورة الأولى فهي: اختلاف مقادير المد، فهذا يمد بمقدار ألف وأخر بضعفها وثالث بضعفيها، وفي مقابل هذه الصورة المختلفة الألوان تبهجنا صورة أخرى تحمل لوناً واحداً لكل نوع من المدود، وهو مقداره المحدد له، وهو ما يعرف عند القراء بتسوية المدود، عملاً بالقاعدة المشهورة: «واللفظ في نظيره كمثله» [٤] ، بحيث سوّى في القراءة بين المدود كل نوع على حدة.

والمد يمكن القارئ من تصوير المعاني ويساعد على إيضاح دلالاتها

---

(١) شرح الهداية ٣٠/١.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، «باب مد القراءة»، ص٣٠٩، رقم الحديث: (٥٠٤٥).
(٣) انظر لطائف الإشارات للقسطلاني، ١١١/١.
(٤) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، ص٦٣.

المختلفة، وقد ألمح علماء الأداء إلى شيء منها فيما نقلوه من القراءات المتواترة، ومنها مد المبالغة ومد الفرق، وصلة هاء الكناية في بعض المواضع:

أما مد المبالغة ويقال له مد التعظيم فقد ورد عن أصحاب قصر المد المنفصل، حيث قرؤوا بالتوسيط في «لا» إذا وقعت قبل «إله»، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ (١) .

وإنما سمي مد المبالغة؛ لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوى الله سبحانه، وهذا معروف عند العرب؛ لأنها تمد عند المبالغة في نفي الشيء، وقد استحب العلماء مد الصوت بـ«لا إله إلا الله» تعظيماً لله تعالى وإشعاراً بتوحيده سبحانه ونفي ما سواه من المعبودات، ومن هذا النوع مد المبالغة بمقدار ألفين، وذلك للنفي في «لا» النافية للجنس التي للتبرئة عند الإمام حمزة (ت ١٥٦هـ)، نحو قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ (٢) .

وأما مد الفرق فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ ءَآلذَّكَرَيۡنِ ﴾ (٣) و ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ ﴾ (٤). و ﴿ ءَآللَّهُ ﴾ (٥) ؛ لأنه فرق بين الاستفهام والخبر (٦) ، ومن

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥، وسورة آل عمران، الآية: ٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢، وانظر النشر لابن الجزري، ٣٤٤/١.
(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.
(٤) سورة يونس، الآيتان: ٥١، ٩١.
(٥) سورة يونس، الآية: ٥٩، وسورة النمل، ٥٩.
(٦) انظر المصباح الزاهر للشهرزوري ١٤٥٥/٤، وجمال القراء للسخاوي، ٥٢٣/٢.

***

هـذا القبيـل:

﴿مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ﴾ [١] على قراءة أبي عمرو البصري، أما على قراءة الباقين فبدون مدّ على الإخبار [٢] .

وأما صلة هاء الكناية في بعض المواضع فقد قيل: إن القصد من الصلة في لفظ (أرجهي) في قصة موسى وفرعون [٣] في بعض القراءات التشنيع على ملأ فرعون ما أمروا به، كما قيل: إن القصد من الصلة في (فيهي) من قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩﴾ [٤] إسماع الخلق ما أوعد به العاصي [٥] .

وإذا كان للمد دوره الكبير في إبراز المعاني فإن سوء أدائه يكدر رونقه ويخرجه عن فضاءات معانيه، وذلك إذا لم يراع في مخرجه وصفته ومقداره، ولهذا ينبغي الحذر من بتر المدود الأصلية، والإفراط أو التطفيف في المدود الفرعية، فقد كان مشايخنا يعنون بمقادير المدود حال الإقراء عناية فائقة، كما ينبغي أن يكون الصوت في المد سالماً من الترعيد والتمطيط والتشديد [٦] ، وأن يتوقى القارئ من إشراب المد الغنة والخلط

---

(١) سورة يونس، الآية: ٨١.
(٢) انظر إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة، ص١٣٤، ٥٠٩.
(٣) وذلك في سورة الأعراف الآية: ١١١، وسورة الشعراء، الآية: ٣٦ حيث يقول الله تعالى عن الملأ من قوم فرعون: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ .
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٩.
(٥) انظر إبراز المعاني من حرز المعاني لأبي شامة، ص١٠٦.
(٦) انظر الموضح في التجويد لعبدالوهاب القرطبي، ص١٣٤.

بينهما [1] ، وذلك ونحوه ناشئ من عدم مراعاة تجويد المدود.

الإمالة:

«معنى الإمالة هو تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة» [2] ، وهي على مراتب مختلفة [3] ، وذلك على حسب مذاهب القراء واختلاف النقلة عنهم في مشافهة ألفاظ الأداء.

وللإمالة مقاصد صوتية ومعنوية:

أما المقاصد الصوتية فأهمها تناسب الحركات والحروف في أصوات الأداء، ويوضح ابن مريم الشيرازي (ت بعد ٥٦٥هـ) ذلك في قوله – رحمه الله: «الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة لتميل الألف التي بعدها نحو الياء، ليتناسب الصوت بمكانها ويتجانس ولا يختلف، فهذا غرضهم من الإمالة، وأما إمالتهم الألف المنقلبة عن الياء والتي في حكم المنقلب عنها فهي أيضاً لإرادة التناسب، وذلك لأنهم اعتقدوا وجود الياء في الكلمة، فكرهوا أن يقع مكانها ما هو مخالف لها فأمالوا الألف لما ذكرنا من إرادة التناسب، لما في وهمهم من حصول الياء» [4] .

ويقول ابن الجزري (٨٣٣هـ) – رحمه الله – في هذا السياق: «فأرادوا أن يكون عمل اللسان ومجاورة النطق بالحرف الممال وبسبب

---

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد للدكتور غانم قدوري الحمد، ص٥٤٤.
(٢) الكشف عن وجوه القراءات المكي ١٦٨/١.
(٣) انظر المصباح الزاهر لأبي الكرم ٩٥٤/٣، ٩٥٩.
(٤) الموضح في وجوه القراءات وعللها ٢٠٩/١، وينظر ٢١١/١ من هذا المصدر.

الإمالة من وجه واحد وعلى نمط واحد .. وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل. والله أعلم» [١] .

وهذا التناسب الصوتي ليس خلوا من الآثار المعنوية، «فلا ريب أن الإمالة تغني الكلمة بشفافية وحنو ولين وانسيابية لها وقع جمالي خاص» [٢] .

والمعوّل عليه عند القراء في الإمالة وغيرها النقل، بيد أنه لا يمنع من التماس العلل والبحث عن وجوهها الصوتية والمعنوية في مرتعها الخصب وفضاءاتها الواسعة، ولنضرب على ذلك مثلاً بما جاء في توجيه قراءة أبي عمرو البصري في قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [٣] ، حيث قرأ بالإمالة في (أعمى) الأولى، وبالفتح في الثانية متبعاً للرواية فيما اختاره ومشعراً بالفرق بين المعنيين، ووجه ذلك أن الثاني عنده أفعل التفضيل، فكأن ألفه لم يقع طرفاً لافتقاره إلى (من) المقدرة، وساغ ذلك؛ لأنه من العمى المجازي، وهو عمى القلب، دون الحقيقي الذي هو عمى العين، فلهذا بنى أفعل منه، أي أن من كان

---

(١) النشر: ٣٥/٢.
(٢) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم لنذير حمدان، ص٢٠٥.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

جاهلاً للحق في الدنيا فهو في الآخرة أجهل وأضل» [1] .

الوقوف على أواخر الكلم بالروم والإشمام (الإشارة):

المقصود بالروم عند القراء النطق ببعض الحركة، وأما الإشمام فهو عندهم ضم الشفتين بعد الإسكان من غير تصويت [2]، وكلاهما لا يضبطان إلا بالتلقي على مهرة القراء.

وكلاهما معمول بهما عند أهل الأداء بشروط مفصلة [3] .

وقد علل الوقف بذلك الإمام – خلف بن هشام البزار (ت ٢٠٩هـ) أحد القراء العشرة في قوله: «لأن الذي يقرأ على من يتعلم منه إذا قرأ عليه فأشم الحروف في الوقف علم معلمه كيف قراءته لو وصل، والمستمع أيضاً غير المعلم يعلم كيف كان يصل الذي يقرأ» [4] ، قال أبو جعفر ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ): «والقراء يؤثرون الروم على الإشمام لأنه أبْيَنُ منه» [5] .

واهتمام القراء بالإشارة إلى الحركة سواء كانت روما أم إشماماً له دلالاته القيمة في دقة النقل وبيان المعنى، إذ المعنى فرع الإعراب وقد فصّل شيخ القراء ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) فائدة الوقف بالروم والإشمام

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة، ص٢١٩.
(٢) انظر القواعد والإشارات في أصول القراءات للحموي، ص٥١، والنشر لابن الجزري ١٢٠/٢.
(٣) انظر الإقناع لابن الباذش ٥٠٨/١، والنشر لابن الجزري ١٢٢/٢.
(٤) إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٣٨٦/١.
(٥) الإقناع في القراءات السبع ٥٠٨/١.

بما لا مزيد عليه، وذلك في قوله – رحمه الله: «قالوا: فائدة الإشارة في الوقف بالروم والإشمام هي بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه ليظهر للسامع أو للناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها، وهذا التعليل يقتضي استحسان الوقف بالإشارة إذا كان بحضرة القارئ من يسمع قراءته، أما إذا لم يكن بحضرته أحد يسمع تلاوته فلا يتأكد الوقف إذ ذاك بالروم والإشمام؛ لأنه غير محتاج أن يبين لنفسه، وعند حضور الغير يتأكد ذلك ليحصل البيان للسامع، فإن كان السامع عالماً بذلك علم صحة عمل القارئ، وإن كان غير عالم كان في ذلك تنبيه له ليعلم حكم ذلك الحرف الموقوف عليه كيف هو في الوصل، وإن كان القارئ متعلماً ظهر عليه بين يدي الأستاذ هل أصاب فيقره أو أخطأ فيعلمه، وكثيراً ما يشتبه على المبتدئين وغيرهم ممن لم يوقفه الأستاذ على بيان الإشارة أن يميزوا بين حركات الإعراب في قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [1] ، و ﴿إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [2]، فإنهم إذا اعتادوا الوقف على مثل هذا بالسكون لم يعرفوا كيف يقرؤون (عليم) و(فقير) حالة الوصل هل هو بالرفع أم بالجر وقد كان كثير من معلمينا يأمرنا فيه بالإشارة، وكان بعضهم يأمر بالوصل محافظة على التعريف به وذلك حسن لطيف. والله أعلم» [3] .

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٦.
(٢) سورة القصص، الآية: ٢٤.
(٣) النشر في القراءات العشر (رسالة دكتوراة)، ١٤٦٩/٤.

وبعد: فتلك إشارات لطيفة إلى بعض المعاني الكامنة في نماذج من هيئات الأداء وأصول القراءة، ولا شك أن غيرها غني أيضاً بوجوه من غايات الأداء، فلا تسأل عن الهمز وتعدد صيغه الأدائية من تحقيق وتسهيل ونقل وإبدال، وسكت على الساكن قبله، وما أشبهه، وناهيك عن جمالية الخفة في الإدغام وجزالة التفخيم في حروف الاستعلاء ومواضع تغليظ اللام من اسم الجلالة (الله) «لعظمته وفخامة ذكره» (١) ، تعالى وتقدّس، قال الإمام مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ): «وإذا كان المشدَّد مفخماً للتعظيم والإجلال وجب بيان التشديد متمكناً ليكون ذلك أمكن لظهور التفخيم، نحو ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ (٢) و ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ (٣) ، وشبهه، يُظهر التشديد إظهاراً متمكناً ليظهر التفخيم في اللام الذي جيء به للتعظيم والإجلال والإكبار، فأعلمْه، وليس في كلام العرب لام أظهر تفخيماً وأشد تعظيماً من اللام في اسم الله جل ذكرُه لأنها لامان مفخمتان لإرادة التعظيم والإجلال، وذلك إذا كان قبل الاسم فتح أو ضم» (٤) .

فذلك وأمثاله من وجوه الأداء يضفي ألواناً صوتية متناسقة تبلغ في النفس والوجدان ما لا يبلغه كلام آخر خالٍ من مثل هذا النسيج المتفرد (٥) .

۞۞۞

(١) اختلاف القراء في اللام والنون للسعيدي، ص٦٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٥، وغيرها.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٦٤.
(٤) الرعاية، ص٢٥٨.
(٥) انظر الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم لنذير حمدان، ص٢٠٧.

المبحث الثالث:
الوقف والابتداء

يحظى الوقف والابتداء في أداء القرآن الكريم بعلاقة وطيدة بالمعاني، «ولا مرية أن بمعرفتها تظهر معاني التنزيل، وتعرف مقاصده، وتستعد القوة المفكرة للغوص في بحر معانيه على درر فوائده» [(١)].

ومن ثم فقد حظي الوقف بعناية فائقة من لدن العلماء، فقال أبو حاتم السِّجستاني (ت ٢٥٥هـ): «من لم يعلم الوقف لم يعلم ما يقرأ» [(٢)] .

وقال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ): «وقد اختار العلماء وأئمة القراء تبيين معاني كلام الله عز وجل وتكميل معانيه، وجعلوا الوقف منبها على المعنى ومفصلاً بعضه عن بعض، وبذلك تلذ التلاوة ويحصل الفهم والدراية، ويتضح منهاج الهداية» [(٣)] .

وقال أبو الخير ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «وصحّ بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح كأبي جعفر يزيد بن القعقاع إمام أهل المدينة الذي هو من أعيان التابعين، وصاحبه الإمام نافع بن أبي نُعيم وأبي عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي وعاصم بن أبي النَّجُود وغيرهم من الأئمة، وكلامهم في ذلك معروف ونصوصهم عليه مشهورة

---

(١) لطائف الإشارات للقسطلاني ٢٤٩/١.
(٢) الكامل في القراءات الخمسين للهذلي (٨١/ب).
(٣) جمال القراء، ٥٥٤/٢.

في الكتب، ومن ثم اشترط كثير من أئمة الخلف على المجيز أن لا يجيز أحداً إلا بعد معرفته الوقف والابتداء» [1] .

وأنواع المعاني التي يثيرها الوقف والابتداء متعددة بحسب مقاصدها وفوائدها، ودور الوقف والابتداء من حيث المعاني لا يخفى، إلا أنه يمكن أن تنتظم أهم معالمه في الأمور التالية:

- إيضاح المعاني وتمييزها.
- معرفة مقاصد القرآن الكريم.
- إلهاب الفكر في تدبر القرآن الكريم.
- إثارة المعاني التشويقية.
- إبراز الصورة الجمالية.
- إظهار إعجاز القرآن الكريم.

إيضاح المعاني وتمييزها:

يعد بيان المعاني المحور الأساسي لقضية الوقف والابتداء في أداء القرآن الكريم، إذ هو الوسيلة الفاعلة في سرعة وصول المعاني إلى فهم الآخر ولهذا أكد العلماء على القارئ الحرص «على أن يفهم المستمعين في الصلاة وغيرها، ويكون وقفه عند كلام مستغن أو شبيه، وأن يكون ابتداؤه حسناً» [2] .

---

(١) النشر في القراءات العشر: ٢٢٥/١.
(٢) القطع والائتناف للنحاس ٩٧/١.

***

وقد بنيت أقسام الوقوف والابتداء على الاعتبار باللفظ والمعنى في جميعها دونما استثناء، وذلك ما نجده جلياً في أنواع الوقوف الرئيسة، وهي التام والكافي والحسن والقبيح [1].

فالوقف التام هو الذي ليس له تعلق بما بعده لا لفظاً ولا معنى، ولذلك يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، وأكثر ما يقع في أواخر السور وتمام القصص [2] .

والوقف الكافي هو الذي لـه تعلق بما بعده من جهة المعنى دون اللفظ، ويكون في «كل كلام قائم بنفسه مستغن بعامل ومعمول فيه» [3] ، مثل الوقف على ﴿مِنَّا﴾ و ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [4] ، والوقف عليه جائز، وكذلك الابتداء بما بعده [5] ، ومنه ما يتأكد استحباب الوقف عليه لبيان المعنى المقصود، «وهو ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد» [6] ، نحو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [7] «لئلا يوهم التبعيض للمفضل عليهم، والصواب جعلها جملة مستأنفة فلا

---

(١) انظر جمال القرآن للسخاوي ٥٦٣/٢.
(٢) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ٢٢٥/١.
(٣) المكتفى في الوقف والابتداء للداني، ص١٤٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.
(٥) انظر النشر: ٢٢٨/١.
(٦) المصدر السابق، ٢٣٢/١.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

موضع لها من الإعراب» [1] .

والوقف الحسن ما تعلق بما بعده لفظاً ومعنى، «وهو الذي لا يحتاج إلى ما بعده؛ لأنه مفهوم دونه، ويحتاج ما بعده إليه لجريانه في اللفظ عليه» [2] ، مثل الوقف على لفظ الجلالة «الله» في سورة الفاتحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ، حيث يجوز الوقف هنا؛ لأن المراد مفهوم، لكن لا يجوز الابتداء بـ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ؛ لأنه تابع لما قبله [3] ، وكذلك كل وقف حسن فإنه «في نفسه حسن مفيد يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظي» [4] ، ويحسن ملاحظة الوقف الحسن عند ضيق النفس، بحيث يراعى تحري الوقف عليه، فإنه إذا لم ينتبه لذلك ربما انقطع به النفس على وقف قبيح، وقد قال العلماء: «من تجاوز الوقف وقف في غير الوقف، أي انقطع نفسه في غير الوقف» [5] ، مثال ذلك لو علم القارئ أن نفسه سينقطع قبل نهاية الآية من قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ [6] ، فإنه يحسن به أن يقف على ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ ثم يستأنف من هذا الموضع: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ ، إذ لو لم يقف على ذلك فإن نفسه سينقطع به على إحدى الكلمات التالية والوقف عليها من قبيل القبيح.

(١) النشر في القراءات العشر ٢٣٢/١.
(٢) جمال القراء للسخاوي ٥٦٣/٢.
(٣) انظر المكتفى للداني، ص١٤٥.
(٤) النشر في القراءات العشر ٢٢٦/١.
(٥) جمال القراء ٥٧١/٢.
(٦) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

والوقف القبيح هو الذي لا يفهم منه المراد نحو الوقف في سورة الفاتحة على ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ [1] ، وهذا النوع لا يُتعمد الوقف عليه – إلا للضرورة من انقطاع نفس ونحوه – إما لنقص المعنى أو لفساده، فنقص المعنى نحو المثال السابق، وفساده أو تغييره نحو الوقف على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦ﴾[2] وينبغي الاحتراز من البدء القبيح أيضاً عند انقطاع النفس، حيث يتأكد حال الرجوع مراعاة البدء الحسن، مثل أن ينقطع النفس على ﴿فَقِيرٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [3] ، فيحترز من الاستئناف بـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [4] ، بل يبدؤ بما يحسن قبله على أن الوقف على ﴿فَقِيرٌ﴾ أصلاً غير مناسب؛ لأنه من القبيح، بل يحسن الوقف على ما قبله كما تقرر آنفاً عند الحديث عن الوقف الحسن.

وإذا تنازع اللفظ والمعنى في وقف فإن بعض العلماء يرى تغليب المعنى دفعاً للإيهام ودفعاً للبس، ويطلقون على هذا النوع وقف البيان أو وقف التمييز [5] ، ويمثلون له بالوقف على ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ والابتداء بـ: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ [6] لأن التسبيح لا يكون إلا الله عز وجل فلو وصل لأوهم اشتراك الرسول × فيه، ونحو ذلك من الوقف.

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي، ٣٥٢/١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦، وانظر جمال القراء ٤٦٤/٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.
(٤) انظر جمال القراء ٥٦٥/٢.
(٥) انظر الكامل في القراءات الخمسين للهذلي (٨١/ب) والمقاطع والمبادئ الكبير للهمداني: الكتاب الخامس، الباب الرابع (نسخة غير مرقمة) وجمال القراء للسخاوي ٥٦٧/٢، ٥٧١.
(٦) سورة الفتح، الآية: ٩.

وهذا النوع يشير إلى عناية القراء بإبراز المعنى من خلال الوقف، والحق أنه لا يمكن الفصل بين اللفظ أو الإعراب والمعنى، إذ يتعذر تضادهما، وذلك أن المعنى متفرع من الإعراب، ولذلك لا تجد مثالاً مما مثلوا به إلا وكان الوصل فيه هو الصحيح، ففي المثال المذكور قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ «معطوف على ما قبله قد حذفت منه النون للنصب، فكيف يتم الكلام على ما قبله» [(١)] ، وذلك يقتضي الوصل من جهة نحوية ومعنوية وبلاغية أيضاً؛ لأن هذه الآية من قبيل اللف والنشر، كما هو مقرر في فن البديع [(٢)] ، فغاية ما يقال في هذا المثال ونحوه إنه من الوقف الحسن المذكور آنفاً.

إن ظاهرة الوقف ذات أثر بالغ في بيان المعاني والكشف عنها، إذ من المعاني ما هو مختبئ في أكنافها، ولا يتبدى للسامع إلا من خلالها، ومنها تلك المعاني المحذوفة التي يُعبر عنها بالوقف، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ [(٣)] حيث الوقف على (جاءهم)، لأن خبر (إن) محذوف، أي لا يخفون علينا، أو يلقون في النار، بدلالة ما قبله [(٤)] .

---

(١) القطع والائتناف للنحاس ٢/٦٧٠.
(٢) اللف والنشر «عبارة عن ذكر الشيئين على جهة الاجتماع مطلقين عن التقييد ثم يوفى بما يليق بكل واحد منهما اتكالاً على أن السامع لوضوح الحال يرد إلى كل واحد منهما ما يليق به، وهو في الحقيقة جمع ثم تفريق» الطراز ليحيى العلوي ٢/٤٠٤.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٤١.
(٤) علل الوقف للسَّجاوندي ٣/٩٠٣.

***

وثمة وجوه كثيرة من مظاهر إيضاح المعاني وتمييزها من خلال الوقف والابتداء، وهي منشورة في تضاعيف مؤلفات هذا العلم ومعمول بها لدى مشايخ الإقراء.

معرفة مقاصد القرآن الكريم:

يسهم الوقف والابتداء في تجلية مقاصد القرآن الكريم، وهي ما اشتملت عليه سور القرآن الكريم من الموضوعات والقضايا من توحيد وبعث ونبوات وقصص وأحكام وأخلاق وآداب ونحوها، ففي نهاية كل سورة وموضوع أو قصة وقف تام في تضاعيفها تكمن الوقوف الكافية والحسنة.

وقد نوّه العلماء – رحمهم الله – بهذا الجانب لما له من أثر كبير في إيصال معاني القرآن إلى الأفهام، فقال ابن الطحان (ت بعد ٥٦٠هـ): «فبإحسان الوقف تتبدّى للسامع فوائده الوافرة، ومعانيه الفائقة، وتتجلى للمنتجع مقاصده الباهرة، ومناحيه الرائعة» [١] ، وقال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ): «ففي معرفة الوقف والابتداء الذي دونه العلماء تبيين معاني القرآن العظيم، وتعريف مقاصده، وإظهار فوائده، وبه يتهيأ الغوص على درره وفوائده» [٢] ، وقد كان ذلك محل عناية الرعيل الأول من الصحابة والتابعين، فقد روى أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) عن التابعي الجليل

---

(١) نظام الأداء في الوقف والابتداء، ص٢٠.
(٢) جمال القراء ٢/٥٥٣.

ميمون بن مهران (ت ١١٦هـ) أنه قال: «إني لأقشعر من قراءة أقوام يرى أحدهم حتما عليه ألا يقصر عن العُشر، إنما كانت القراء تقرأ القصص إن طالت أو قصرت، أو يقرأ أحدهم اليوم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [(١)] قال: ويقوم في الركعة الثانية فيقرأ: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾ [(٢)] .

قال أبو عمرو: فهذا يبين أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا يجتنبون في قراءتهم القطع على الكلام الذي يتصل بعضه ببعض، ويتعلق آخره بأوله؛ لأن ميمون بن مهران إنما حكى ذلك عنهم، إذ هو من كبار التابعين، وقد لقي جماعة منهم [(٣)] .

وهذا يدل على أن مراعاة مقاصد الآيات ينبغي أن تكون في أداء القارئ مؤتلفة مع الوقف والابتداء، وأن لا يرتبط الوقف والابتداء بما هو واقع من التحزيب والتجزئة المحدثة بعد عصر الصحابة، والتي شنّع عليها ميمون بن مهران – رحمه الله – وكل من له معرفة بمعاني القرآن الكريم ووقوفه فإنه لا يعتدّ بها في تلاوته، وإنما كان المراد من تقسيم القرآن إلى أعشار وأحزاب وأجزاء معرفة عدد حروف القرآن وأقسامه ليستعان بها على حفظ القرآن؛ لأنه لا يثقل على من يريد حفظه أن يحفظ مقداراً محدداً

(١) سورة البقرة، الآية: ١١، وهي الآية العاشرة في العدد المدني ومن وافقه. انظر البيان في عد آي القرآن للداني، ص١٤٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢.
(٣) المكتفى في الوقف والابتداء، ص١٣٥.

في كل يوم [١] .

وقد حمل شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) على التجزئة بالحروف في مناقشة طويلة، ومما جاء فيها: «أن هذه التحزيبات المحدثة تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه، فيحصل القارئ في اليوم الثاني مبتدئاً بمعطوف، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [٢] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [٣] ، وأمثال ذلك، ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض – حتى كلام المخاطبين – حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب، كقوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [٤] ، ومثل هذه الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد إذا طال الفصل بينهما بأجنبي .. والذي في القرآن نقل كلام حاضرين متجاوزين، فكيف يسوغ أن يفرق هذا التفريق لغير حاجة؟ بخلاف ما إذا فرق في التلقين ونحو ذلك» [٥] .

فالحاصل أن فهم مقاصد القرآن الكريم عامل مهم في تدبر آياته، وأن الوقف والابتداء هو عنوانها ودليلها.

---

(١) المكتفى في الوقف والابتداء، ص١٣٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣١.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٧٥.
(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤١١/١٣.

إلهاب الفكر في تدبر القرآن الكريم:

إن تحري الوقوف ومراعاتها في معاني القرآن الكريم ومقاصده لا يحصل إلا بأعمال الفكر في تفهم آي الذكر الحكيم والإبحار في محيطات معانيها، لاستخراج لبابها في أداء حسن يأخذ بالألباب، ويذكي جذوة الفكر.

ولذا كانت معرفة الوقف والابتداء سمة العلماء، ومنقبة القراء، فهذا أبو حاتم السِّجستاني (ت ٢٥٥هـ) إمام البصرة في اللغة العربية والقراءات صلى بجامع البصرة ستين سنة بالتراويح وغيرها فما وقف إلا على حرف تام[١] .

وفي هذا الصدد يقول أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) «فقد صار في معرفة الوقف والائتناف التفريق بين المعاني، فينبغي لقارئ القرآن إذا قرأ أن يتفهم ما يقرأ ويشغل قلبه به» [٢] .

كما ينبغي أن لا يعمد إلا ما لا يرتضيه المتقنون من أهل الأداء وعلماء العربية والتفسير، فليس كل ما يذكر من المعاني وما يترتب عليها من الوقوف يمكن أن يعمل به، بل يجب الاحتراز من الأقوال الشاذة والغريبة والوقفات المتعسَّفة التي يأباها السياق القرآني ولا تستند إلى نص صحيح ولا إلى رأي سديد، ولقد حذر العلماء منها أشد التحذير، وذكروا

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٣٢٠/١.
(٢) القطع والائتناف للنحاس ٩٧/١.

لها أمثلة كثيرة [١] ، ومن ذلك قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ﴾ يقف عليه قوم ويبتدئون ﴿بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [٢] ، يجعلون (بزعمهم) المقسم عليه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ ، وليس على ذلك أحد من أهل العربية والتفسير علمته، وإنما المراد: لا تشرك بالله، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ .

ومن ذلك الوقف على قوله عز وجل: ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ﴾ والابتداء بقوله عز وجل: ﴿عَظِيمٞ﴾ [٣] أي عظيم وجدتها، وهذا ليس بكلام جيد، وفيه إخراج كلام الله عز وجل عن المراد: فأحذروه، وله نظائر لا تخفى على ذوي التحصيل» [٤] .

وإنما تنبغي العناية بالوقفات الصحيحة، وما أغنى كتاب الله بها لمن تدبرها، ولنضرب على ذلك مثلاً بقوله تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ۝٥٢ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ۝٥٣ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ۝٥٤﴾ [٥] ، حيث الوقف على «كلا» الأولى؛ لأنها على الردع عن الإرادة، أي لا يؤتى صحفاً منشرة، بينما لا يوقف على «كلا» الثانية؛ لأنها بمعنى حقاً [٦]، فذلك وأمثاله يدل على تدبر لكتاب الله تعالى، وفيه

---

(١) انظر جمال القراء للسخاوي ٥٨٩/٢ والنشر لابن الجزري ٢٣١/١، ولطائف الإشارات للقسطلاني ٢٦٥/١.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٣.
(٣) سورة النمل، الآية: ٢٣.
(٤) جمال القراء: ٥٩١/٢.
(٥) سورة المدثر، الآيات: ٥٢ ــ ٥٤.
(٦) انظر علل الوقوف للسجاوندي ١٠٦٤/٣ وشرح كلا وبلى ونعم لمكي، ص٤١.

من الآثار الطيبة على المستمع ما يعينه على تفهم كتاب الله ويلهب فكره في التعرف على معانيه.

إثارة المعاني التشويقية:

إن وقف القارئ على الآية يثير شوق المستمع إلى ما بعدها، إذ هو بمثابة البيان لها أو نحو ذلك من أنواع المعاني التي يشتاق السامع إليها بعد الوقف على ما قبلها في سائر الكلام، فكيف إذا كانت في كلام الله تعالى، فلننصت إلى قول الله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ ﴾ [(١)] ، أفلا يُشتاق إلى تفاصيل هذا الحديث ويُترقب ما بعد هذه الآية إذا وقف عليها القارئ، في حين أن ذاك لا يحدث لو وصلت في نفس واحد مع ما بعدها وهو قوله تعالى: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ ﴾ [(٢)] ، ثم لنواصل الإنصات إلى قوله تعالى:
﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ [(٣)] ، فسنجد الاشتياق يعاودنا لمعرفة ما أوحاه الله جل جلاله إلى نبيه موسى – عليه السلام – وذلك لا يكون إلا بالوقوف على ﴿ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ .

ومن هذا القبيل الوقف على البشائر إذا توالت لما تحدثه من سرور في نفس المؤمن حينما تزّف إليه البشائر الأخرى تلو سابقتها، والوقف على كل واحدة منها يعبر عن ذلك، ومنه الوقف على كل آية من قوله

(١) سورة طه، الآية: ٩.
(٢) سورة طه، الآية: ١٠.
(٣) سورة طه، الآية: ١٣.

تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۝٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٥٧ ﴾ (١) .

وكأنك بالقارئ والمستمع حين الوقف على قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ ﴾ (٢) ، ليهتاج حنين الشوق إلى تطلّب ذلكم المعروض المرموق، أفليس لهذا الوقف وقع على الأسماع والقلوب وهي تترقب الجواب الرباني: ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ (٣) .

وما أسعد القارئ ساعة الوقف عند آيات الدعاء مستعيذاً أو سائلاً الله من فضله يترقب إجابة ربه قبل أن ينتقل إلى الآية الأخرى أو الجملة التي تليها، إنها لمن أسعد اللحظات حين يقف القارئ تلك الوقفات بخشوع متشوقاً إلى مناجاة ربه وهو يجيب سؤاله، ففي الحديث الصحيح: «عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾ (٤) قال: دخل قلوبهم منها شيء فقال النبي ×: **«قولوا: سمعنا وأطعنا وسلّمنا»** قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله

---

(١) سورة الدخان، الآيات: ٥١ ــ ٥٧.
(٢) سورة الصف، الآية: ١٠.
(٣) سورة الصف، الآية: ١١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾ ، قال: قد فعلت: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ ﴾ ، قال: قد فعلت: ﴿ وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا ﴾ [1] [2]، قال: قد فعلت.

وكان × إذا مر بآية فيها تسبيح وقف فسبّح، وإذا مر بآية فيها سؤال وقف فسأل، وإذا مر بتعوّذ تعوّذ [3] .

إبراز الصورة الجمالية:

قال أبو القاسم الهذلي (ت ٤٦٥هـ): «هذا القرآن نزل باللغة العربية، والوقف والقطع من حليتها، فإن الوقف حلية التلاوة، وتحلية الدراية، وزينة القارئ، وبلاغة التالي، وفهم المستمع، وفخر للعالم» [4] .

وأجمل صور الوقف تلك التي تكون على رؤوس الآي، فإنها من أجمل محسنات الأداء، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): «فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل لتقع في الأسماع فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن تلك التماثل، كما تتأثر بالقوافي في الشعر

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) «أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس ..»، ص٦٧، رقم الحديث: (٣٣٠).

(٣) انظر الحديث بطوله في صحيح مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، ص٣١٥، رقم الحديث: (١٨١٤)، وأخرجه الإمام أبو عبيد في فضائله من روايات متعددة وبألفاظ متقاربة ٣١٢/١.

(٤) الكامل في القراءات الخمسين (٨١/ب).

***

وبالأسجاع في الكلام المسجوع .. ألا ترى أن من الإضاعة لدقائق الشعر أن يلقيه ملقيه على مسامع الناس دون وقف عند قوافيه، فإن ذلك إضاعة لجهود الشعراء، وتغطية على محاسن الشعر، وإلحاق للشعر بالنثر، وإن إلغاء السجع دون وقوف عند أسجاعه هو كذلك لا محالة، ومن السذاجة أن ينصرف ملقي الكلام عن محافظة هذه الدقائق فيكون مضيعاً لأمر نفيس أجهد فيه قائله نفسه وعنايته» [(١)] .

وما ذكره الشيخ محمد الطاهر من المقارنة إنما هو على وجه التقريب والتوضيح، إذ رؤوس الآي خصِّيصة لهذا الكتاب العظيم، وليست القوافي والأسجاع في روعة جمالها وحلاوة أدائها.

ثم إن الوقوف على رؤوس الآي سنة مأثورة، ولذلك اختار المحققون الوقف على رؤوس الآي وإن تعلقت بما بعدها، وفي ذلك إظهار لمقاصدها والتي منها هذه الصورة الجمالية، ومنها المعاني التشويقية كما سبق ومنها إظهار إعجازه كما ستأتي الإشارة إليه بعد هذا، قال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ): «ومما ينبغي له أن يقطع عليه رؤوس الآي لأنهن في أنفسهن مقاطع وأكثر ما يوجد التام فيهن لاقتضائهن تمام الجمل، واستيفاء أكثرهن انقضاء القصص وقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون القطع عليهن وإن تعلق كلام بعضهن ببعض» ثم روى «عن أم سلمة أن النبي × كان إذا قرأ قطَّع قراءته آية آية يقول: ا بِسۡمِ ٱللَّهِ

---

(١) التحرير والتنوير ٧٦/١.

﴿ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثم يقف ثم يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، ثم يقف ثم يقول: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [1] .

ومظاهر الجانب الجمالي التي يحدثها الوقف والابتداء معتبرة عند علماء الأداء، وهي معدودة عندهم من وجوه كمال المعاني وأدوات التلذذ بكتاب الله تعالى، قال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ): «وقد اختار العلماء وأئمة القراء تبيين معاني كلام الله عز وجل وتكميل معانيه، وجعلوا الوقف منبهاً على المعنى ومفصلاً بعضه عن بعض، وبذلك تلذ التلاوة [2] .

إظهار إعجاز القرآن الكريم:

تجسد ظاهرة الوقف والابتداء وجوه عديدة من الإعجاز القرآني، حيث تكشف عن المعاني القريبة والبعيدة للقرآن الكريم، وإذ تقرر أن القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه فإن الوقف والابتداء قد أخذ بحظ وافر في إبرازها.

ولقد حث العلماء على مراعاة الوقف والابتداء لإبراز إعجاز القرآن الكريم، فقال شيخ القراء ابن الجزري (٧٣٣هـ): «لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة

---

(١) المكتفى في الوقف والابتداء، ص١٤٦ والحديث المذكور في سنن أبي داود، كتاب الحروف والقراءات، ص٥٦٦، رقم (٤٠٠١) والترمذي أيضاً في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ×، ص٦٥٧ رقم الحديث: (٢٩٢٣)، وذكره ابن الجزري في النشر ٢٢٦/١ وقال: «حديث حسن وسنده صحيح».

(٢) جمال القراء ٥٥٤/٢.

الوصل، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة، وتعين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة، وتحتم ألا يكون ذلك مما يجيل المعنى، ولا يخل بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد، ولذلك حض الأئمة على تعلمه ومعرفته» [1] .

ومن وجوه الإعجاز التي تتناول الوقف والابتداء تعدد المعاني بتعدد الوقف، ورؤوس الآي.

أما تعدد المعاني بتعدد الوقف: فهو على غرار إعجاز تعدد المعنى بتعدد القراءات، وذلك من كمال الإيجاز ونهاية البلاغة، إذ تنوع المعنى مع اتحاد الكلمات [2] ، ويمكن التمثيل لذلك بما ذكره الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [3] ، ونصه: إن وقفت على كلمة ﴿رَيۡبَۛ﴾ كان من قبيل إيجاز الحذف، أي لا ريب في أنه الكتاب، فكانت جملة: ﴿فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ ، ابتداء كلام، وكان مفاد حرف (في) استنزال طائر المعاندين، أي إن لم يكن كله هدى فإن فيه هدى، وإن وصلت (فيه) كان من قبيل الإطناب، وكان ما بعده مفيداً أن هذا الكتاب كله هدى» [4] .

ومن صور تعدد الوقف على حسب اختلاف المعنى أو تعدده ما في

---

(١) النشر في القراءات العشر (رسالة دكتوراة) ٧٩٢/٢.
(٢) انظر النشر في القراءات العشر ٥٢/١ والتحرير والتنوير لابن عاشور ٨٣/١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٤) تفسير التحرير والتنوير: ١١٧/١.

قولــه تعــالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [1] ، حيــث أورد فيهــا ابــن الجــوزي (ت ٥٩٧هـ) عن أهل التفسير معنيين، ونصه: «فيها قولان»:

- أحدهما: أنه قد قيل فيمن أرسل قبلك ساحر وكاهن ومجنون، وكُذِّبوا كما كُذِّبت، هذا قول الحسن وقتادة والجمهور.
- والثاني: ما تُخبر إلا بما أخبر الأنبياء قبلك من أن الله غفور وأنه ذو عقاب، حكاه الماوردي [2] .

فعلى القول الأول يكون الوقف على: ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ ليدل على المحذوف، وما بعده يبتدأ به على الاستئناف، وعلى القول الثاني ليس ثمة وقف على: ﴿قَبْلِكَ﴾ ؛ لأن ما بعده مقول القول.

وأما رؤوس الآي: فإنها من أصول الوقف والابتداء؛ «لأنهن في أنفسهن مقاطع، وأكثر ما يوجد التمام فيهن» [3] ، وهي من خصائص القرآن الكريم، إذ هي من الكلام بمثابة قوافي الشعر وأسجاع النثر، أما القرآن الكريم فقد جاء في نظمه على غرار معجز لم يسبق إليه، فأعجز بذلك العرب وأرباب البلاغة وأساطين الفصاحة عن معارضته [4]، ولذلك عُدّ عدم مراعاة الوقوف عليها تفريطاً في الغرض المقصود منها [5] .

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٣.
(٢) زاد المسير في علم التفسير: ٢٦٣/٧.
(٣) شرح القصيدة الخاقانية للداني: ٢٧٧/٢.
(٤) انظر الكامل في القراءات الخمسين للهذلي (٢٥/ب).
(٥) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٨٣/١.

***

الفصل الثالث:
دراسة تطبيقية على سورة الفاتحة

كل سورة في كتاب الله يمكن إبراز معانيها إذا روعي في تلاوتها أصول أئمة أهل الأداء، والتي تمت دراستها فيما مضى من مباحث هذا الكتاب.

وقد وقع اختيار سورة الفاتحة لحاجة كل مسلم إلى تعلّمها، وطلباً للاختصار، حيث يحصل بها المقصود، ويتحقق بها المراد، مما يغني ذوي الأفهام عن التطبيق على سائر سور القرآن.

وعطفاً على ما سبق من المباحث فإن دراسة هذه السورة الكريمة ستكون من خلال مقومات أدائها وغاياته وظواهره، وذلك أيضاً على وجه الإيجاز إذ القصد بيان كيفية إبراز المعاني حال الأداء، دونما استطراد في تفاصيلها مما يخرج البحث عن مقصده.

فلنستمع إلى هذه السورة العظيمة بآذان واعية، ولننصت إليها بقلوب خاشعة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ .

يحظى قارئ سورة الفاتحة بمقومات ذات آثار على تحسين أدائها وإبراز غاياتها وظواهرها على أحسن وجه.

وتكمن أهم تلك المقومات في التعرف على فضلها وما اشتملت عليه من شريف المعاني ونبيل المقاصد.

أما فضلها فقد ثبت فيه أحاديث كثيرة عن رسول الله × تنص على أنها أعظم سورة في القرآن العظيم [1] ، منها ما جاء عن أبي سعيد بن المُعَلَّى قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله × فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي فقال: ألم يقل الله: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ [2] ، ثم قال لي: «**لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**»، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له:ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» [3] .

وذلك يوقظ في القارئ مشاعر الإحساس بالعظمة والجلال نحو الله، وذلك في تلاوته لهذه السورة حين يرددها آناء الليل وأطراف النهار في أشرف أوقاته وأكمل أحواله وهو بين يدي ربه يناجيه بأعظم سورة في

---

(١) انظر ما ورد في ذلك مفصلاً في فضائل القرآن لأبي عبيد، ص٢٣ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢/١، وقد ورد في بعضها بلفظ «والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني».

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، ص٧٥٩، رقم الحديث: (٤٤٧٤).

أعظم كتاب أنزله على أنبيائه مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه.

وإذا وجد القارئ الإحساس بجلال عظمة سورة الفاتحة فإن ذلك سيحول بينه وبين الهذل في تلاوتها.

وأما معانيها فإنها معين لا ينضب، وما تكرارها في كل ركعة من فريضة أو نافلة إلا لاستجلاب معانيها التي لا حصر لها، وبقدر ما يحضر المصلي بقلبه تنهال عليه المعاني من مثانيها، وأفضل ما يكشف عن معانيها السامية ما صحّ عن رسول الله × فيما يرويه عن ربه عز وجل: **«قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:** ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ **قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال:** ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ **قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، فإذا قال:** ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ **قال: مجدني عبدي – وقال مرة: فوّض إلي عبدي – فإذا قال:** ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ **قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال:** ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ **قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»**[1] .

فدل هذا الحديث على أن سورة الفاتحة دعاء مشتمل على حمد وثناء

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ص١٦٧ رقم الحديث: (٨٧٨).

وتضرع ومسألة ويشهد لذلك ما جاء في أسمائها، ومنها سورة الدعاء وسورة تعليم المسألة وسورة المناجاة [(١)] .

وللأدعية أسلوبها الذي يناسبها في التلاوة، حيث تقرأ على وجه الاستعطاف والتحنن والترجي.

كما أشار الحديث الشريف إلى مواطن الوقف والابتداء، وذلك عند كل آية، وقد بين النبي × ذلك بفعله، حيث كان يقف عند كل آية من هذه السورة [(٢)] .

والحاضر بقبله كلما تلا آية منها وقف يترقب جواب ربه، فإذا قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ وقف هنيهة يسيرة ينتظر جواب ربه له بقوله حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ انتظر الجواب بقوله: «أثنى علي عبدي»، فإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ انتظر جوابه يمجدني عبدي [(٣)] ، وهكذا تتجلى المعاني المذكورة في الحديث لمن راعى الوقوف على رؤوس الآي.

وثمة نوع آخر من الوقف تضمنه الحديث الشريف، وقد نوّه به أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) ونصه: «فقد تبين التمام في هذه السورة من لفظ رسول الله × لأن التمام الأول هو آخر ما لله جل وعز خالصاً، وهو:

---

(١) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٣٢/١، وفتح الباري لابن حجر ٥/١٨ وشرح الواضحة لحسن المرادي، ص٣٣.
(٢) سبق ذكر هذا الحديث وتخريجه في المبحث السابق عند إبراز الصورة الجمالية.
(٣) الصلاة وحكم تاركها لابن القيم، ص٢٠٢.

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ ، والتمام الثاني هو آخر ما بين الله جل وعز وبين عبده، وهو: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ ، والتمام الثالث آخر ما سأل العبد، وهو: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[1] .

ولعل إبراز ذلك يتحقق بالوقف على نهاية كل مقطع من المواضع المذكورة بحصة أطول من الوقف على غيرها من بقية آي سورة الفاتحة، غير أني لم أعثر على نص عن أحد أئمة أهل الأداء على ذلك، وعليه فينبغي التسوية بين زمن الوقوف في التلاوة تبعاً ما هو معمول به في الإقراء.

بيد أنه يمكن إبراز المعاني الثلاثة بأسلوب آخر، إذ مقتضى ما تمت دراسته في غايات الأداء المغايرة بين تلك المقاطع الثلاثة، فلا جرم ذلك يبرز أغراض سورة الفاتحة ومحاسن مقاصدها والتي جمعت بين براعة الاستهلاك وحسن الانتقال وروعة الختام.

---

(١) القطع والائتناف ١٠٣/١، ويحسن التنبيه هنا إلى أن علماء عد الآي اختلفوا في عد البسملة، بعد أن اتفقوا على أن سورة الفاتحة سبع آيات بنص القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ ﴾ (سورة الحجر، الآية: ٨٧)، فمن عد البسملة آية ــ وهم أهل الكوفة ومكة ــ اعتبروا: ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾ الآية السابعة، ومن لم يعد البسملة آية اعتبروا: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ، الآية السادسة، و ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الآية السابعة. انظر البيان في عد آي القرآن للداني، ص١٣٩، والمصباح الزاهر لأبي الكرم الشهرزوري ١٥٧٩/٤ وجهد المقل لساجقلي زاده، ص٣١٩.

***

أما براعة الاستهلال فقد تمثلت في وجوه آيات الحمد والثناء والتمجيد بأسماء الله وصفاته، فذلك يقرؤه القارئ بمرتبة معتادة وقلبه ينبض إجلالاً وخشوعاً.

وأما حسن الانتقال فقد ظهر في أسلوب الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، وهو قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ وتلك تناسبها المرتبة المنخفضة حيث الانطراح بين يدي الجبار والاعتراف بالمسكنة والضراعة إليه سبحانه وتعالى.

وأما حسن الختام ففيما بقي من هذه السورة الكريمة، وهو طلب العبد الهداية من الله سبحانه، وهذه السورة الكريمة، وهو طلب العبد الهداية من الله سبحانه، وهذه الصيغة تناسبها المرتبة المرتفعة في أولى درجاتها [١] ؛ لأنها تدل على شدة حاجة العبد إليها فهو يتلهّف في طلبها معبرا عن ذلك بهذه الصيغة من الأداء.

تلك جملة من المعاني التي إذا تدبرها القارئ جاءت قراءته على هذا النحو من المراتب الصوتية معبراً عن كل معنى بما يناسبه ومتنقلاً بين مقاطعها بشفافية وخشوع، دون خفوت متماوت ولا ارتفاع صوت مزعج ولا على وتيرة واحدة مملة.

وربما انقدح للقارئ معاني أخرى للمقاطع الثلاثة المذكورة وحينئذ فإنه يؤديها بما يناسبها من المراتب الصوتية، فقد يجول في ذهنه إعلان

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري، ٦٢/١.

العبودية والاستعانة لله ونبذ الشرك والتنديد بأهله، وذلك في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ فيقرؤها بمرتبة مرتفعة على وجه العزة، وقد ينبعث في باطنه الحياء وهو يسأل الله الهداية فيخفض صوته خجلاً من تقصيره في مقابل ما يطلبه من منحة الهداية والمداومة عليها.

ولندع القارئ يسبح في فضاءات معاني هذه السورة العظيمة ليؤديها وفق ما تفيض به من مشاهد الحضور وصور الماضي والمستقبل لينسج من ألوان تلك الصور صورة أدائية معبرة تبهر الأسماع وتنفذ إلى المشاعر وتغيث المدامع وتزيد الإيمان وتهدي إلى أحسن الأخلاق.

ولئن ظلت سورة الفاتحة تروي كل وارد بمعانيها الجامعة فإن ظواهرها الصوتية لها حظ وافر من إبراز معانيها، وذلك يقتضي العناية بحسن أدائها حسبما نقله أئمة الأداء وعلماء التجويد، فتصحيح المخارج واستكمال الصفات في كل كلمة يعطي المعنى الصحيح المراد منها، واستيفاء المدات الأصلية والفرعية والتسوية بين كل نوع منها على حدة يبرز صورة جمالية متناسقة تتنفس منها عبير الوجدان، وتحقيق الهمزات وإظهار الشدّات وبيان الهاءات تتبدّى به جزالة ألفاظ أدائها.

وتحسن الإشارة هنا إلى بعض الظواهر الصوتية في هذه السورة الكريمة وما ينبغي أن يحترز منه عند أدائها، لما لها من صلة وثيقة بالمعاني ومنها ما يلي:

- الاحتراز من غنّ الباء في ﴿ رَبِّ ﴾ ، «وقد يبالغ قوم في تحقيقها والمحافظة على شدتها فيخرجونها عن حدها ويقبحون لفظها، وذلك أيضاً محذور منه» [(١)] .

(١) شرح الواضحة في تجويد الفاتحة للمرادي، ص٣٥.

- التحفظ من المبالغة في تكرير راء: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ۝٣﴾.
- التحفظ من إشباع كسرة كاف: ﴿مَٰلِكِ﴾ لئلا تصير ياء، وكذا التحفظ من إشباع ضمة دال: ﴿نَعۡبُدُ﴾ لئلا تصير واوا.
- (مَلِك) و(مالِك) قراءتان سبعيتان متواترتان، قال أبو شامة (ت ٦٦٥هـ): «وقد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الكلام في الترجيح بين هاتين القراءتين، حتى إن بعضهم ببالغ في ذلك إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين وصحة اتصاف الرب سبحانه وتعالى بهما، فهما صفتان لله تعالى يتبين وجه الكمال له فيها فقط، ولا ينبغي أن يتجاوز ذلك»[(١)].
- الحذر من همس دال: ﴿ٱلدِّينِ﴾ لئلا تشتبه بالتين، وكذلك الحذر من همس الطاء في: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ ﴿صِرَٰطَ﴾.
- مراعاة تشديد الياء في (إياك) في الموضعين وقد ورد التخفيف في قراءة شاذة مرغوب عنها، ويُعدّ تخفيفها من قبيل اللحن الجلي المغير للمعنى؛ لأن «إيا الشمس» ضياؤها [(٢)].

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأمان، ص٧٠، وانظر بقية القراءات الواردة في سورة الفاتحة مع توجيه معانيها في هذا المصدر وأمثاله من كتب القراءات، وينبغي التنبيه هاهنا على مراعاة أهل كل بلد بما يقرؤون به من القراءات وعدم التشويش عليهم بالقراءات الأخرى، وكذلك مراعاة أحوالهم في البسملة من حيث الجهر والإخفاء.

(٢) انظر الإبانة عن معاني القراءات لمكي ص ٩٢، وشرح الواضحة في تجويد الفاتحة للمرادي، ص٥٠.

- تخليص كاف (إياك) من (نعبد) و(نستعين) لئلا توصل بهما فتصير في الصمع كاف تشبيه: «إيا كنعبد وإيا كنستعين» [١] .
- إعطاء العين حظها من صفة التوسط في ﴿ نَعۡبُدُ ﴾ لئلا تكون رخوة أو شديدة.
- إعطاء القاف أدنى درجات التفخيم في ﴿ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ ؛ لأنها مكسورة، وتفخيمها فوق ذلك لا سلاسة فيه.
- نطق الغيينن في ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ ﴾ دون أدنى شائبة بالخاء [٢] ، ولا يخفى ما في ذلك من تغيير للمعنى، ونطق الضاد مجودة من مخرجها الخاص بها، وهو أول حافة اللسان مع ما يوليه من الأضراس، وتمييزها بالاستطالة، لئلا تشتبه بالظاء [٣] ، وكذلك في ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ، ذلك أن الضاد تخالف الظاء مخرجاً وصفة واشتقاقاً وتركيباً ومعنى [٤] ، إذ «الضالين» بالضاد ضد الهدى، أي غير المهتدين بينما «الظالين» بالظاء معناه الدائمين، وهذا خلاف مراد الله تعالى [٥] .

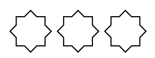
تلك لمحات سريعة عن بعض الظواهر الصوتية حسبما تقتضيه

(١) انظر جهد المقل للساجقلي زاده، ص٣١٠.
(٢) انظر شرح الوضاحة للمرادي، ص٥٧.
(٣) انظر الدقائق المحكمة في شرح المقدمة لزكريا الأنصاري، ص٨٨.
(٤) انظر الكشاف للزمخشري ٢٢٥/٤ وجمال القراء للسخاوي ٥٤٥/٢.
(٥) انظر التمهيد لابن الجزري، ص١٤٠ والمفيد في شرح عمدة التجويد لحسن المرادي، ص١١٠.

طبيعة هذا البحث، وهناك استقراء واف لتجويد كل حرف من حروف سورة الفاتحة يغني عن تتبعه هاهنا [1] .

وفي ختام هذا المبحث وقفت على نصيحة نفيسة للشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) – رحمه الله – في ختام تفسير سورة الفاتحة يحسن أن نختم بها هذا المبحث، حيث قال – رحمه الله: «وأنصح لك أيها التالي للقرآن في الصلاة وفي غير الصلاة أن تقرأه على مكث، وتمهل، بخشوع وتدبر، وأن تقف على رؤوس الآيات، وتعطي القراءة حقها من التجويد والنغمات، مع اجتناب التكلف والتطريب، واتقاء الاشتغال بالألفاظ عن المعاني، فإن قراءة آية واحدة مع التدبر والخشوع، خير لك من قراءة ختمة مع الغفلة.

ومن المجربات أن تغميض العينين في الصلاة يثير الخواطر ولذلك كان مكروها، وأن رفع الصوت المعتدل في الصلاة الجهرية ولا سيما صلاة الليل يطرد الغفلة، ويوقظ راقد الخشية، وإعطاء كل أسلوب حقه من الأداء والصوت يعين على الفهم، ويستفيض ما غاض بطول الغفلة من شآبيب الدمع» [2] .



---

(١) يراجع التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي للسعيد، ص٢٩ وما بعدها وشرح الواضحة في تجويد الفاتحة للمرادي وجهد المقل لساجقلي زاده، ص٣١٠ وما بعدها.
(٢) تفسير القرآن الحكيم، ١/١٠٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله.

وأرجو أن ما هدف إليه هذا البحث قد تحقق في تضاعيفه، وهو بيان الأداء الصحيح للقرآن الكريم ومقوماته وخصائصه، ودوره في التعبير عن المعاني المقصودة في آي الذكر الحكيم وكيفية تصويرها وإبرازها في التلاوة، وذلك من خلال التعرف على غايات الأداء وظواهره.

وقد انتهى البحث إلى جملة من النتائج، ومنها ما يلي:

- الأصل في الأداء القرآني الرواية وهي ما نقل عن رسول الله × وصحبه الكرام، وأئمة القراء من بعدهم بأسانيدهم المتصلة إلى رسول الله ×.
- وللدراية حظها منه، بما لا يتعارض مع ما صح من الروايات.
- أكثر صيغ الأداء وهيئاتها لا تُعرف حق المعرفة بالقول والصفة، بل يوقف عليها بالرواية والمشاهدة والمشافهة.
- يطلق الأداء على تأدية حروف القرآن وكيفياته المستفاضة وتجويده في أصوات الألفاظ وهيئاتها، ويشمل الناقل والمنقول إليه.
- ما جاء في معنى آيات الترتيل بأنه التبيين والتفسير فإنما هو البيان والتفسير الأدائي، لا شرح الآيات وبيان المراد منها.

***

- من وجوه إعجاز القرآن الكريم المسحة الأدائية التي امتازت بها حروف القرآن الكريم وكلماته لمن أداها مجودة على وجه الفصاحة ومراعاة المعاني.
- حسن أداء القرآن الكريم مرهون بكيفيات أدائه وتوفر مقوماته وخصائصه وغاياته.
- ظواهر الأداء من وقف ومد وقصر وغيرها كلها تجسد الصورة المعنوية الحقيقة لكل كلمة إذا أديت على الوجه الصحيح.
- حسن الأداء واحد من سبل فهم القرآن الكريم التي تلامس الوجدان وتبعث الحياة في القلوب وتهدي إلى أحسن الأخلاق.
- صيغ الأداء القرآنية المتعددة ألوان كثيرة ذات نسيج متفرد، وهي غاية في التناسق الصوتي المتلألئ جمالاً والممتلئ وجداناً.
- يختلف أداء عن آخر بحسب مشاهد حضور القلب وتصوراته للمعاني القريبة والبعيدة.
- قراءة النبي × كانت أعظم المؤثرات في إيصال علمه وهدايته إلى العالمين.
- الأداء القرآني وسيلة فاعلة في الجانب الدعوي، واستثمار وسائل الإعلام المعاصرة في إيصال أصدق كلام وأبلغ برهان إلى العالمين مطلب جد مهم.
- المقصد الأسمى من التجويد والتحقيق تزيين القراءة للإغراء على

الإنصات إليها والعمل بما فيها من الهدايات.

- قبح التعسف في التلاوة والمبالغة في إخراج الحروف وصفاتها، حيث حذر الله علماء الأداء وزجروا عنه.
- تنتظم مقادير فع الصوت وخفضه في الدلالات التصويرية في ثلاث مراتب: معتادة ومنخفضة ومرتفعة، وهذه المراتب وأمثالها من قبيل الدراية.
- من أهم عوامل بيان الدلالات التصويرية العناية بالدرجات الصوتية وتخليص الحروف والكلمات وتحرير نطقها.
- ما اتحد لفظاً ورسماً واختلف معنى تتأكد المغايرة بينها صوتاً، مثل «لولا» التحضيضية والامتناعية.
- التنقل بين الحروف بلطف، والإشارة إلى المعاني بشفافية والتدرج في الدرجات الصوتية المنبئة عن الدلالات التصويرية برفق كل ذلك يلبس التلاوة أجمل حللها.
- الأداء القرآني أصدق بيان في إثارة الظواهر الانفعالية، وذلك إذا كان على الصفة الصحيحة المتلقاة من حذاق المجودين.
- ما نقل من وجد الصوفية ومن حذا حذوهم من الزعيق والجهر الصاعق وغير ذلك من أحوالهم كل ذلك عن منهج علماء الأداء بمعزل وهو مخالف المنهج السلف الصالح.
- ترجيع القراء والتغني بها له معاييره الدقيقة المتمثلة في مراعاة

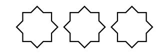
المعاني وعدم الخروج عن قواعد التجويد، وعدم المشابهة لترجيع الغناء المنافي للخشوع الذي هو مقصود التلاوة.

- أن تحزين القراءة سائغ على أن لا يشابه النياحة ولا يخل بقواعد التجويد، وأن تراعى فيه المعاني.
- الحدر مرتبة سهلة سمحة، لكن لا يتقنها إلا المهرة ومن لم يمكنه حسن الأداء بالحدر فلا ينبغي أن يقرأ به.
- عدم التفريق في التلاوة بين الخبر والاستفهام والنفي والإثبات ونحو ذلك معدود عند حذاق أهل الأداء من قبيل اللحن الحفي.
- أن جميع مراتب التلاوة لها حظها من المعاني، غير أن الترتيل بها أسعد
- الوقف على رؤوس الآي سنة، وله مقاصد عدة، منها الإثارة التشويفية والروعة الجمالية وإظهار إعجاز القرآن.
- أن ربط الوقف بالأجزاء والأحزاب والأعشار ونحوها في الأداء مجانب للصواب، والمعتبر في ذلك مراعاة المعاني.
- للوقف والابتداء دوره الكبير في تمييز معاني القرآن الكريم وإيضاح مقاصده وإظهار إعجازه وإلهاب الفكر في تدبره وإثارة المعاني التشويقية وإبراز الروعة الجمالية للقرآن الكريم.
- كل سورة في كتاب الله يمكن إبراز معانيها ومقاصدها إذا روعي فيها أصول أئمة أهل الأداء.

وبعد: فإن هذا البحث جهد من مقل معترف بالتقصير، فما كان فيه من صواب فهو من فضل الله الكريم، وما كان فيه من خطأ أو خلل فهو من قلة بضاعتي وضعف جهدي، واستغفر الله وأتوب إليه.

وفي الختام أتوجه إلى الله العلي القدير بالحمد والثناء وخالص الشكر على ما مَنّ به وأعان عليه في هذا البحث، وأرجو منه تعالى أن يكتب له التوفيق والقبول في الدارين، وأسأله جل وعز أن يجزي عني خيراً كل من أسهم في هذا البحث بجهد من قريب أو بعيد، فجزاهم الله بما هو أهله، هو أهل التقوى والمغفرة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.. والحمد لله رب العالمين.



***

أهم المراجع

١- الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٣٩٩ هـ .
٢- إبراز المعاني من حرز الأماني ، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، مصر ، مصطفى البابي الحلبي ١٤٠٢ هـ.
٣- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، تحقيق د. شكري فيصل، دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٣٨٤ هـ .
٤- الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق مركز الدراسات و البحوث ، الرياض ، مكتبة نزار الباز ١٤١٧ هـ.
٥- إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الغزالي ، ، بيروت ، دار المعرفة .
٦- اختلاف القراء في اللام والنون (ضمن رسالتين في التجويد للمؤلف ـ الرسالة الثانية) ، علي بن جعفر السعيدي ، تحقيق د. غانم قدوري الحمد ، عمَّان ، دار عمار ، ١٤٢١ هـ .
٧- أخلاق حملة القرآن ، أحمد بن الحسين الآجري ، تحقيق د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ ، المدينة المنورة ، مكتبة الدار، ١٤٠٨ هـ .
٨- الإضاءة في بيان أصول القراءة ، علي بن محمد الضَّبَّاع ، القاهرة ، مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي .
٩- إعراب القراءات السبع وعللها ، الحسين بن أحمد خالويه ،

تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٤١٣ هـ .
١٠- الإقناع في القراءات السبع ، أحمد بن علي بن الباذش ، تحقيق د. عبد المجيد قطامش ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي ، ١٤٠٣هـ .
١١- الأمثال من الكتاب والسنة ، محمد بن علي الحكيم الترمذي ، تحقيق د. السيد الجميلي ، بيروت ، دار ابن زيدون ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ .
١٢- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ، محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محيي الدين رمضان ، ١٣٩٠ هـ ، دمشق ، مجمع اللغة العربية بدمشق .
١٣- الإيضاح في القراءات ، أحمد بن أبي عمر الأَنْدَرابي ، مخطوط مصور في جامعة الإمام في الرياض رقم ٨٧٦ / ف .
١٤- البحر المحيط في تفسير القرآن ، محمد بن يوسف الأندلسي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ، بيروت ، دار الفكر .
١٥- البرهان في علوم القرآن ، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١ هـ .
١٦- بيان إعجاز القرآن ، حمد بن محمد الخطابي ، (ضمن : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ الرسالة الأولى) ، تحقيق محمد خلف الله و د.محمد زغلول سلام ، مصر ، دار المعارف الطبعة الثانية ، ١٣٨٧ هـ .
١٧- بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء ، الحسن بن أحمد البناء ، تحقيق د. غانم قدوري الحمد ، عمَّان ، دار عمار ،

١٤٢١ هـ .
١٨- البيان في عد آي القرآن ، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق د. غانم قدوري الحمد ، الكويت ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، ١٤١٤هـ .
١٩- البيان والتبيين ، عمر بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .
٢٠- تاج العروس ، محمد مرتضى الزبيدي ، بيروت ، دار صادر، ١٣٨٦.
٢١- التحديد في الإتقان والتجويد ،عثمان بن سعيد الداني، تحقيق د.غانم قدوري الحمد ،بغداد ،دار الأنبار ، ١٤٠٧ هـ .
٢٢- التحرير و التنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ،١٩٨٤م ، تونس ، الدار التونسية .
٢٣- التذكار في أفضل الأذكار ، محمد بن أحمد القرطبي ، بيروت ، المكتبة العلمية .
٢٤- التغني بالقرآن، لبيب السعيد، مصر، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٠ م.
٢٥- التغني بالقرآن ، محمد أبو زهرة ، مجلة كنوز الفرقان ، القاهرة ، العدد الثامن ، شعبان ١٣٦٨ هـ ، (صـ ١٨ ـ ٢٣) .
٢٦- تفسير القرآن الحكيم ، محمد رشيد رضا ، ١٤١٤ هـ ، بيروت ، دار المعرفة .
٢٧- تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل ابن كثير الدمشقي ، تحقيق عبد العزيز غنيم و زميليه ، مصر ، مطبعة الشعب .
٢٨- التلخيص في القراءات الثمان ، عبد الكريم بن عبد الصمد

الطبري ، تحقيق محمد حسن عقيل ، جدة ، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ١٤١٢هـ .
٢٩- التمهيد في علم التجويد ، محمد بن محمد بن الجزري ، تحقيق د . غانم قدوري الحمد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧ هـ .
٣٠- التمهيد في معرفة التجويد ، الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق د. غانم قدوري الحمد ، عمَّان ، دار عمار ، ١٤٢٠ هـ .
٣١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، تحقيق سعيد أحمد أعراب ، المغرب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤٠١ هـ .
٣٢- التنبيه على اللحن الجلي والخفي (ضمن رسالتين في التجويد للمؤلف ـ الرسالة الأولى) ، علي بن جعفر السعيدي ، تحقيق د. غانم قدوري الحمد ، عمَّان ، دار عمار ، ١٤٢١ هـ .
٣٣- التنغيم في التراث العربي ، د. عليان بن محمد الحازمي ، مكة المكرمة ، مجلة جامعة أم القرى ، العدد الثالث والعشرون ، شوال ١٤٢٢ هـ المجلد الثالث عشر ، ترتيب البحث : التاسع عشر .
٣٤- التنغيم ودوره في التحليل اللغوي ، د. عبد الحميد السيد ، مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، عمَّان ، العدد الثاني ، المجلد التاسع عشر (أ) رمضان ١٤١٢ هـ ترتيب البحث : الثالث .
٣٥- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق يعقوب عبد النبي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٣٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري،

القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٨هـ .
٣٧- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
٣٨- جمال القراء و كمال الإقراء، علي بن محمد السخاوي، تحقيق د. علي البواب ، مكة المكرمة ، مكتبة التراث، ١٤٠٨ هـ.
٣٩- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ، (المصحف المرتل) بواعثه ومخططاته ، لبيب السعيد .
٤٠- جهد المقل ، محمد بن أبي بكر المرعشي (ساجقلي زادة) تحقيق د.سالم قدوري الحمد ، عمَّان ، دار عمار، ١٤٢٢ هـ .
٤١- حديث الأحرف السبعة ـ دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية ، د.عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ ، الرياض ، دار النشر الدولي ، ١٤١٢هـ.
٤٢- حرز الأماني ووجه التهاني (الشاطبية)، القاسم بن فِيرُّة الشاطبي ، تصحيح علي بن حسن الضباع ، القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٥هـ.
٤٣- حول فكرة تلحين القرآن ، عبد الفتاح القاضي ، القاهرة ، مجلة الأزهر، الجزء الأول ، السنة التاسعة والثلاثون ، المحرم ١٣٨٧ هـ (ص ٨٩ ـ ٩٢).
٤٤- الخصائص ، عثمان بن جني الموصلي ، تحقيق محمد علي النجار ، مصر، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٣٧١ هـ .
٤٥- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د. غانم قدوري الحمد ، بغداد ، مطبعة الخلود ، ١٤٠٦ هـ .

٤٦- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة ، زكريا بن محمد الأنصاري ، مراجعة الشيخ محيي الدين الكردي ، الطبعة الثانية ، ١٤١١ هـ ، دمشق ، مكتبة الغزالي .
٤٧- ذكرى الشيخ محمد رفعت الـ(٣١) ، مقال بقلم حسين عثمان ، مجلة الدوحة ، يوليه ١٩٨١ (صـ ٨٦ ـ٨٩).
٤٨- رائية الخاقاني (القصيدة الخاقانية ضمن مجموع بعنوان : قصيدتان في التجويد ـ الرسالة الأولى)، موسى بن عبيد الله الخاقاني ، تحقيق د . عبد العزيز عبد الفتاح القارئ ، مصر ، دار مصر للطباعة ، ١٤٠٢ هـ .
٤٩- رسالة في مبادئ التفسير ، محمد الخضري الدمياطي، دار البصائر، دمشق، ١٤٠٤هـ.
٥٠- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د. أحمد حسن فرحات ، عمَّان ، دار عمار ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ .
٥١- زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق زهير الشاويش ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ، بيروت ، المكتب الإسلامي .
٥٢- زاد المعاد في هدي خير العباد ،محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية ، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ، الطبعة الثالثة عشرة ، ١٤٠٦ هـ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .
٥٣- السبعة في القراءات ، أحمد بن موسى بن مجاهد ، تحقيق د. شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار المعارف .
٥٤- سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد بن ماجه ، الرياض ، دار

السلام (طبعة خاصة بجهاز الإرشاد و التوجيه بالحرس الوطني) ، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ.

٥٥- سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، الرياض ، دار السلام (طبعة خاصة بجهاز الإرشاد و التوجيه بالحرس الوطني) ، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ.

٥٦- سنن الترمذي (جامع الترمذي) ، عيسى بن محمد الترمذي، الرياض ، دار السلام (طبعة خاصة بجهاز الإرشاد و التوجيه بالحرس الوطني) ، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ.

٥٧- شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، بيروت .

٥٨- شرح الهداية، أحمد بن عمار المهدوي ، تحقيق د. حازم حيدر ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤١٦ هـ .

٥٩- شرح الواضحة في تجويد الفاتحة ، حسن بن قاسم المرادي ، تحقيق د. عبد الهادي الفضلي ، بيروت ، دار القلم .

٦٠- شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني التي قالها في حسن الأداء (شرح القصيدة الخاقانية) ، عثمان بن سعيد الداني ، تحقيق غازي بن بنيدر الحربي ، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى ، ١٤١٨ هـ .

٦١- شرح كلا وبلى ونعم ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د. أحمد حسن فرحات ، دمشق ، دار المأمون للتراث ، ١٤٠٠ هـ .

٦٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، البابي الحلبي .

٦٣- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، الرياض ، دار السلام (طبعة خاصة بجهاز الإرشاد و التوجيه بالحرس الوطني) ، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ.
٦٤- صحيح مسلم ، مسلم ابن الحجاج النيسابوري ، الرياض ، دار السلام (طبعة خاصة بجهاز الإرشاد و التوجيه بالحرس الوطني) ، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ.
٦٥- الصلاة وحكم تاركها، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ، تحقيق بسام الجابي ، بيروت ، ١٤١٦هـ .
٦٦- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ .
٦٧- الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، نذير حمدان ، جدة ، دار المنارة، ١٤١٢ هـ .
٦٨- عقود الجُمَان في تجويد القرآن ، برهان الدين إبراهيم بن عمر الجَعبري، مخطوط في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، رقم ٥٩٣٦ .
٦٩- علل اللسان وأمراض اللغة ، د. محمد كشّاك ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤١٩ هـ .
٧٠- علل الوقوف ، محمد بن طَيفُور السجاوندي ، تحقيق د. محمد بن عبد الله العيدي ، الرياض ، دار الرشد ، ١٤١٥ هـ.
٧١- علم الأصوات اللغوية ، د.مناف مهدي الموسوي ، بيروت، عالم الكتب ، ١٤١٩ هـ .
٧٢- غاية النهاية في طبقات القراء ، محمد بن محمد الجزري ، بيروت ، دار الكتب ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
٧٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر ،

تحقيق عبد الرؤوف وزميليه ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٨هـ .
٧٤- الفريد في إعراب القرآن المجيد ، حسين بن أبي العز الهمداني، تحقيق د. فهمي النمر و فؤاد علي مخيمر،١٤١١ هـ، الدوحة ، دار الثقافة .
٧٥- فضائل القرآن ، إسماعيل ابن كثير الدمشقي ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٦ هـ .
٧٦- فضائل القرآن وما جاء فيه من الفضل وفي كم يقرأ والسنّة في ذلك، جعفر بن محمد الفريابي ، تحقيق يوسف عثمان فضل الله جبريل، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٠٩هـ .
٧٧- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ، القاسم بن سلاّم البغدادي ، تحقيق أحمد الخياطي ، المغرب ، مطبعة فضالة ، ١٤١٥ هـ .
٧٨- القطع و الائتناف ، أحمد بن محمد النحاس ، تحقيق د. أحمد خطاب العمر ، بغداد ١٣٩٨ هـ ، مطبعة العاني (وزارة الأوقاف بالعراق - إحياء التراث الإسلامي) .
٧٩- القواعد والإشارات في أصول القراءات ، أحمد بن عمر الحموي ، تحقيق د. عبد الكريم بن محمد الحسن بكار ، دمشق ، دار القلم ، ١٤٠٦ هـ.
٨٠- القول الجاذّ لمن قرأ بالشاذّ ، محمد النويري المالكي ، تحقيق عبد الفتاح السيد أبو سنة ، مراجعة لجنة إحياء التراث الإسلامي بمجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة (ضمن شرح طيبة النشر ص ٤٥ ـ ٨٨) ، ١٤٠٦ هـ
٨١- الكامل في القراءات الخمسين ، يوسف بن جبارة الهذلي ، مخطوط، نسخة رواق المغاربة في الأزهر ، رقم ٣٦٩ .

٨٢- الكشاف عن حقائق التنـزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت ، دار المعرفة .
٨٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د.محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ.
٨٤- كنزالمعاني في شرح حرز الأماني ، إبراهيم الجَعبري ، نسخة مخطوطة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت الرقم٢٤٨٥، وكنز المعاني المحقق ، وهو بعنوان : الجعبري ومنهجه في كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني مع تحقيق نموذج من الكنز ، دراسة وتحقيق أحمد اليزيدي ، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤١٩ هـ .
٨٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور ، بيروت ، دار صادر.
٨٦- لطائف الإشارات لفنون القراءات، أحمد بن محمد القسطلاني ، تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان ، د. عبد الصبور شاهين ، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٢هـ.
٨٧- مجموع فتاوي شيخ الإسلام بن تيمية ، جمع و ترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكة المكرمة ، مكتبة النهضة .
٨٨- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، تحقيق د. طيار آلتي قولاج ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٥ هـ.
٨٩- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن بن أبي بكر

السيوطي، القاهرة ، دار التراث ، الطبعة الثالثة .
٩٠- المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري، إشراف يوسف المرعشلي ، بيروت ، دار المعرفة .
٩١- المسند ، أحمد ابن محمد بن حنبل ، حقق تحت إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣ هـ.
٩٢- المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر ، المبارك بن الحسن الشهرزوري ، تحقيق إبراهيم بن سعيد الدوسري ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، رسالة دكتوراه ، ١٤١٤هـ.
٩٣- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، د. عبد القادر مرعي الخليل ، الأردن ، منشورات جامعة مؤتة - عمادة البحث العلمي والدراسات العليا ، ١٤١٣ هـ .
٩٤- معاني القرآن وإعرابه ،إبراهيم بن السَّري الزجاج ، تحقيق ، د. عبد الجليل عبده شلبي ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٤٠٨ هـ .
٩٥- المعجزة الكبرى القرآن ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .
٩٦- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، بيروت ، المركز العربي للثقافة والعلوم .
٩٧- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام هارون، مصر، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢ هـ .
٩٨- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، إشراف سيد

كيلاني، بيروت ، دار المعرفة.
٩٩- المفيد في شرح عمدة المجيد ، حسن بن قاسم المرادي ، تحقيق جمال السيد رفاعي ، مصر ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث .
١٠٠- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
١٠١- المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه ، محمد بن الجزري، تصحيح أيمن رشدي سويد، جدة، جمعية القرآن الكريم، ١٤٠٧ هـ.
١٠٢- المكتفى في الوقف و الابتدا في كتاب الله عز و جل ، عثمان بن سعيد الداني ، تحقيق د. يوسف المرعشلي ١٤٠٤ هـ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .
١٠٣- منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق علي العمران، مكة المكرمة ، دار عالم الفوائد ، ١٤١٩ هـ.
١٠٤- الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم ، د. محمود محمد الطناحي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٤٠٦ هـ .
١٠٥- الموضح في التجويد ، عبد الوهاب القرطبي ، تحقيق د. غانم قدوري الحمد ، عمَّان ، دار عمار ، ١٤٢١ هـ .
١٠٦- الموضح في وجوه القراءات وعللها ، نصر بن علي الشيرازي المشهور بابن أبي مريم ، تحقيق د.عمر حمدان الكبيسي ، مكة المكرمة ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة ، ١٤١٤ هـ.

١٠٧- النبأ العظيم ، د. محمد عبد الله دراز ، الكويت ، دار القلم ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٠ هـ .

١٠٨- النشر في القراءات العشر ، محمد بن محمد بن الجزري ، إشراف علي بن حسن الضباع ، بيروت،دار الكتب العلمية،والجزء المحقق من النشر، وهو بعنوان منهج ابن الجزري في كتابه النشر مع تحقيق قسم الأصول ، تحقيق السالم محمد محمود ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، رسالة دكتوراه ،١٤٢١ هـ.

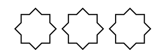
١٠٩- نظام الأداء في الوقف والابتداء ، أبو الأصْبَغ عبد العزيز بن علي (ابن الطحان) ، تحقيق د. علي البواب ، الرياض ،دار المعارف ، ١٤٠٦ هـ .

١١٠- النُّكت في إعجاز القرآن علي بن عيسى الرماني ، (ضمن : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ الرسالة الثانية) ، تحقيق محمد خلف الله و د.محمد زغلول سلام ، مصر ، دار المعارف الطبعة الثانية ، ١٣٨٧ هـ .

١١١- النهاية في غريب الحديث ، المبارك بن محمد ابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، بيروت .

١١٢- الهادي في معرفة المقاطع و المبادي ، الحافظ أبو العلاء الهمداني العطار ، مخطوط ، دار الكتب رقم ٥٨٥.

١١٣- وقوف القرآن و ماءاته و أجزاؤه و تقسيماته ، محمد بن محمود السمرقندي ، مخطوط في جامعة الملك سعود ، رقم **٢٥٢١** .



***

ملخص

إبراز المعاني بالأداء القرآني

يهدف هذا البحث إلى بيان الأداء الصحيح للقرآن الكريم ومقوماته وخصائصه ، ودوره في التعبير عن المعاني المقصودة في آي الذكر الحكيم وكيفية تصويرها وإبرازها في التلاوة ، وذلك من خلال التعرف على غايات الأداء وظواهره .

ويكتسب هذا الموضوع أهمية من حيث ارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم ، وتناوله جانبا مهما وحيويا في تلاوة القرآن الكريم ، إذ يُعنى بمرتبة الإحسان في أدائه الجامعة بين المهارة في أداء الحروف والغوص في معانيها والتبحر في مقاصدها ، وذلك بمراعاة الوقف والابتداء وحسن التعامل مع أصوات الحروف بلطف وشفافية تشعر السامع بالمعنى وتخلص إلى شغاف قلبه بأنوار الهداية .

كما تكمن أهميته في حاجة المكتبة القرآنية إلى تزويدها ببحث مستقل يختص بدراسة هذا الموضوع ، فجاء هذا البحث ليلمّ ما تفرق من أشتاته ويقرب ما بعُد من شوارده مستجليا ما طُوي من الآفاق الأدائية للقرآن الكريم بعرض جديد ، وفي خطوات متّئدة ، وعلى أساس مكين في ضوء ما انتهجه أسلافنا الأخيار دون استطراد فيما انتهى إليه الباحثون تجافيا عن التكرار قدر الإمكان .

والله وليّ التوفيق .

***

الفهرس

***

